

رسائل ودراسات في منهج أهل السنة (١٧)

مباحث في

عقيدة أهل السنة والجماعة

وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها

الشيخ د. ناصر بن عبدالكريم العقل

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
في كلية أصول الدين بالرياض

الطبعة الأولى ١٢ / ٩ / ١٤١٢ هـ
دار الوطن للنشر

المقدمة



إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } [سورة آل عمران ، الآية : ١٠٢] .

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء ، الآية : ١] .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [سورة الأحزاب : الآيتان : ٧٠ - ٧١] ^١

أما بعد ...

فهذه مباحث أقدمها بين يدي القراء إسهاماً مني بجهد المقل ، في موضوعات عقديّة ودعوية كانت هاجساً يدور في خاطري منذ زمن ، وقد دفعتني إلى تسطيرها دوافع كثيرة ، أهمها : ما أشعر به من واجب النصيحة لعامة المسلمين ، ولخاصة الدعاة إلى الله ، في أمور تتعلق بالعقيدة والدعوة ، فإن أغلى ما يجب أن يعتز به المسلمون ويحافظوا عليه ويستمسكوا به ويدعون إليه ، دينهم وعقيدتهم (الإسلام) ، كيف لا وهو دين الله الحق الذي لا يرضى لهم من الدين وغيره . قال تعالى :

{ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [سورة آل عمران ، الآية : ١٩] .

وقال :

^١ - هذه خطبة الحاجة المأثورة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - التي كان يعلمها أصحابه . راجع : خطبة الحاجة - رسالة مطبوعة لمحمد ناصر الدين الألباني .

{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [سورة آل عمران ، الآية ٨٥] .

ولا يستقيم الدين إلا بسلامة الاعتقاد ، وصحة العمل ، وذلك بالاستمساك بالكتاب والسنة ، وهدى السلف الصالح .

والدعاة الذين رفعوا لواء الدعوة ، أفراداً أو جماعات ، هم أجدر وأولى من يجب أن يعي هذه الحقيقة العظمى ، وهم المعنيون بما سأطرق إليه من مباحث خلال هذه الدراسة .

لذا فقد تركزت هذه المباحث على الأمور التالية :

* **العقيدة** : تعريفها ، ومفهومها الصحيح ، وأهل السنة والجماعة وتعريفهم .

* **عقيدة التوحيد** - على الخصوص - التي هي دين الرسل والغاية من خلق الجن والإنس ، وأن توحيد العبادة (الألوهية) هو الغاية الأولى ، والقضية الكبرى بين الرسل والمصلحين وخصومهم ، وعن تاريخ عقيدة التوحيد هذه ، ومنزلتها في الرسالات عموماً ، ورسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - على الخصوص .

* **مصادر العقيدة** عند أهل السنة ، وخصائصها وسماتها .

* **موجز لاعتقاد أهل السنة والجماعة** ، وحقيقة انتماء الفرق إليه ، ومستلزمات دعوى الانتساب لأهل السنة والجماعة ، وحقيقة هذه الدعوى عند الأشاعرة - خاصة - مع محاولة الدلالة على أهل السنة من خلال صفاتهم الشرعية في المسلمين اليوم .

* **عرض نقدي عام لمواقف** ظهرت عن بعض الدعاة والدعوات والحركات الإصلاحية - القائمة اليوم - التي تحمل شعار الإسلام ؛ تجاه عقيدة أهل السنة والجماعة ، علماً وعملاً وقولاً واعتقاداً ، مع بيان الآثار المترتبة على مجانبة عقيدة السلف ، أو التساهل فيها أو الجهل بها .

وأعود فأقول : مما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع ، بعض الظواهر التي أفرزتها الدعوات المعاصرة ، خاصة من الناحية العقديّة لا يسع السكوت عنها ، بل واجب النصيحة يفرضها من باب التعاون على البر والتقوى .

ومن أخطر هذه الظواهر ، الإخلال ببعض أصول العقيدة السلفية ومستلزماتها والتقصير فيما يجب نحوها فهماً وتطبيقاً .

ويكفيني أنني أسهمت وأعدرت ، وأجزم أن هناك غيري ممن هم أجدر بذلك مني ، فليدلوها بدلوهم ، وعلى الله أجرهم وأجري .

وربما يقول قائل : لمّ كان جلّ اهتمامك في هذا البحث بيان أخطاء الدعوات نحو العقيدة

، وهل هذا يعني أنها ليس لها حسنات ومناقب؟!!

فأقول : إن دراستي هذه ليست للعرض والدعاية ، بقدر ما هي للنقد والنصح والتقويم ،
لأمور :

منها : أن الدعوات أفصحت كثيراً عما لديها من حسنات ، بل أطرت نفسها وأشخاصها وطرائقها ومناهجها بأكثر مما ينبغي .

ومنها : أن نقدي لها لا يعني الاستهانة بإيجابياتها وحسناتها فهي أمن أفضل طوائف الأمة على العموم ، فهي أفضل من كثير من القاعدين عن الدعوة ، وهذا شيء أحسب أنه معلوم ومشهود .

ومنها : أني لا أعني دعوة أو حركة بعينها ، أو أكثر ، إنما أعني العموم والأغلب .

وبهذا أجد أنه ارتفع عني الحرج ، إذا علم القارئ أن الخير والصلاح والنفع هو الأصل في العموم ، وأن هذه الأخطاء إنما هي **ظواهر** تجب معالجتها وتفاديها .

ومع ذلك، فأنا ممنون لكل من يهدي لي نصيحة أو يسدي إليّ توجيهاً في هذا الصدد أو غيره .

والله الموفق .. وصلى الله وسلم على نبينا ، وآله وصحبه .

ناصر بن عبدالكريم العقل

المبحث الأول

تمهيد

ويشتمل :

(١) تعريف العقيدة وموضوعها

(٢) تعريف أهل السنة والجماعة

تعريف العقيدة وموضوعها

العقيدة لغة :

من (العَقْد) وهو الربط والشدّ بقوة ، ومنه الإحكام والإبرام ، والتماسك والمراسّة ، والإثبات والتوثق^١ .
ويطلق على العهد وتأكيد اليمين (عَقْدٌ) .
وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو (عقيدة) .

العقيدة في الاصطلاح العام :

الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح . والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - بالطاعة والتحكيم والاتباع .

موضوع علم العقيدة :

العقيدة من حيث كونها علماً - بمفهوم أهل السنة والجماعة - تشمل : موضوعات :
التوحيد^٢ ، والإيمان ، والإسلام ، والغيبيات ، والنبوات ، والقدر ، والأخبار ، وأصول الأحكام القطعية ، وسائر أصول الدين والاعتقاد ، ويتبعه الرد على أهل الأهواء والبدع وسائر الملل والنحل الضالة ، والموقف منهم .
وعلم العقيدة له أسماء أخرى ترادفه ، وتختلف هذه الأسماء بين أهل السنة وغيرهم ، فمن مسميات هذا العلم عند أهل السنة :

١- العقيدة : (والاعتقاد والعقائد) ، فيقال : عقيدة السلف وعقيدة أهل الأثر ونحوه .^١

^١ - انظر : لسان العرب (عقد) ٣ / ٢٩٥ - ٣٠٠ .*

والقاموس المحيط (عقد) ١ / ٣٢٧ - ٣٢٨ .

والمعجم الوسيط (عقد) ٢ / ٦٢٠ - ٦٢١ .

^٢ - يشمل ذلك توحيد الربوبية والإلهية والأسماء والصفات .

* تركت الإشارة إلى الطبعة لكل المراجع المثبتة في الهامش اكتفاءً بذكرها في فهرس المراجع تخفيفاً للحاشية .

٢- التوحيد :^٢ لأنه يدور على توحيد الله بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، فالتوحيد هو أشرف مباحث علم العقيدة وهو غايتها ، فسمي به هذا العلم عند السلف تغليباً .

٣- السنة :^٣ والسنة الطريقة ، فأطلق على عقيدة السلف السنة لاتباعهم طريقة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه في ذلك .

وهذا الإطلاق هو السائد في القرون الثلاثة الفاضلة .

٤ - أصول الدين :^٤ وأصول الديانة ، والأصول هي أركان الإيمان وأركان الإسلام ، والمسائل القطعية وما أجمع عليه الأئمة .

٥ - الفقه الأكبر :^٥ وهو يرادف أصول الدين ، مقابل الفقه الأصغر وهو الأحكام الاجتهادية .

٦ - الشريعة :^٦ أي ما شرعه الله ورسوله من سنن الهدى وأعظمها أصول الدين .

٧ - الإيمان : ويشمل سائر الأمور الاعتقادية .

هذه هي أشهر إطلاقات أهل السنة على علم العقيدة ، وقد يشركهم غيرهم في إطلاقها بالتبع ، كبعض الأشاعرة وأهل الحديث منهم بخاصة .

وهناك اصطلاحات أخرى تطلقها الفرق - غير أهل السنة - على هذا العلم ، من أشهر ذلك :

١ - علم الكلام : وهذا الإطلاق يعرف عند سائر الفرق المتكلمة ، كالمعتزلة والأشاعرة ،^٧ ومن يسلك سبيلهم ، وهو لا يجوز لأن علم الكلام حادث مبتدع ، ويقوم على التقول على الله بغير علم ، ويخالف منهج السلف في تقرير العقائد .

٢ - الفلسفة : عند الفلاسفة ومن سلك سبيلهم ، وهو إطلاق لا يجوز في العقيدة لأن الفلسفة مبناها على الأوهام والعقليات الخيالية ، والتصورات الخرافية عن أمور الغيب المحجوبة .

١ - من ذلك : كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث - للصابوني - ت : * : ٤٤٩ . وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - لللكاني ، ت : ٤١٨ . والاعتقاد للبيهقي ، ت : ٤٥٨ .

٢ - من ذلك : كتاب التوحيد في الجامع الصحيح - للبخاري - ت : ٢٥٦ . وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ، لابن خزيمة ، ت : ٣١١ . وكتاب اعتقاد التوحيد ، لأبي عبد الله محمد بن خفيف ، ت : ٣٧١ . وكتاب التوحيد ، لابن منده ، ت : ٣٥٩ . وكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب .

٣ - من ذلك : كتاب السنة ، للإمام أحمد ، ت : ٢٤١ . وكتاب السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، ت : ٢٩٠ . والسنة ، للخلال ، ت : ٣١١ . والسنة ، للعسال ، ت : ٣٤٩ . والسنة ، للأشرم ، ت : ٢٧٣ . والسنة ، لأبي داود ، ت : ٢٧٥ .

٤ - من ذلك : كتاب أصول الدين ، للبغدادي ، ت : ٤٢٩ . والشرح والإبانة عن أصول الديانة ، لابن بطة ، ت : ٣٧٨ . والإبانة عن أصول الديانة ، للأشعري ، ت : ٣٢٤ .

٥ - من ذلك : كتاب الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ، ت : ١٥٠ .

٦ - من ذلك : كتاب الشريعة ، للأجري ، ت : ٣٦٠ . والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ، لابن بطة ، ت : ٣٧٨ .

٧ - من ذلك : شرح المقاصد في علم الكلام ، للتفتازاني ، ت : ٧٩١ .

٣ - التصوف : عند بعض المتصوفة والفلاسفة ، والمستشرقين ومن نحا نحوهم ، وهو إطلاق مبتدع لأنه ينبني على اعتبار شطحات المتصوفة ومزاعمهم وخرافاتهم في العقيدة .

٤ - الألهيات : عند أهل الكلام والفلاسفة والمستشرقين وأتباعهم وغيرهم ، وهو خطأ ، لأن المقصود بها عندهم فلسفات الفلاسفة ، وكلام المتكلمين والملاحدة فيما يتعلق بالله - تعالى - .

٥ - ما وراء الطبيعة : أو " الميتافيزيقيا " كما يسميها الفلاسفة والكتاب الغربيون ومن نحا نحوهم ^١ ، وهي قريبة من معنى الإلهيات .

ويطلق الناس على ما يؤمنون به ويعتقدونه من مبادئ وأفكار (عقائد) وإن كانت باطلة أو لا تستند إلى دليل عقلي ولا نقلي ، فإن للعقيدة مفهوماً صحيحاً هو الحق ، وهو عقيدة أهل السنة والجماعة المستمدة من الكتاب والسنة الثابتة ، وإجماع السلف الصالح .
وللعقيدة - أيضاً - مفاهيم باطلة ، وهي كل المعتقدات التي تعارض أو تخالف ما جاء عن الله - تعالى - وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإطلاق مفهوم العقيدة كمفهوم الدين ، فالدين الحق (دين الله) يسمى ديناً ، وكذلك تدين المشركين لغير الله يسمى ديناً ، قال تعالى :

{ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [الآية ٥ / سورة الكافرون]

فالشيوعي : يعتنق آراءً وأهواءً باطلة ، ويسميها عقيدة وديناً .

والبوذي : يعتنق آراءً وأهواءً باطلة ، ويسميها عقيدة وديناً .

واليهودي : يعتنق آراءً وأهواءً باطلة ، ويسميها عقيدة وديناً .

والنصراني : يعتنق آراءً وأهواءً باطلة ، ويسميها عقيدة وديناً .

أما العقيدة الإسلامية إذا أطلقت فهي :

عقيدة أهل السنة والجماعة ، لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده .

^١ - أنظر : الموسوعة العربية الميسرة (ميتافيزيقيا) ص ١٧٩٤ .

ونسبة أقوال الناس والفرق ومعتقداتها المخالفة للسلف إلى الإسلام لا تجعلها من العقيدة الإسلامية الحقة ، بل هي معتقدات تُنسب إلى أصحابها ، والحق منها براء ، وقد يسميها بعض الباحثين (إسلامية) ، من باب النسبة الجغرافية والتاريخية ، أو لمجرد دعوة الانتماء ، أي : أن أصحابها ومعتقديها يدعون الإسلام ويسمونهم إسلامية ، لكن الأمر عند التحقيق يحتاج إلى العرض على الكتاب والسنة في أمر الاعتقاد ، فما وافق الكتاب والسنة واستمد منهما فهو الحق ، وهو من العقيدة الإسلامية ، وما لم يكن كذلك فيرد إلى صاحبه ويُنسب إليه .

(٢) التعريف بأهل السنة والجماعة

السنة لغة : الطريقة والسيرة ^١ .

السنة اصطلاحاً : (*)

الهدى الذي كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، علماً واعتقاداً وقولاً وعملاً ، وهي السنة التي يجب اتباعها ، ويحمد أهلها ، ويُذم من خالفها ^٢ ، وتُطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات ، كما تُطلق على ما يُقابل البدعة ^٣ .
الجماعة لغة :

من الاجتماع ، وهو ضد التفرق ، والجماعة هم القوم الذين اجتمعوا على أمر ما ^٤
الجماعة في الاصطلاح : (*)

هم سلف الأمة ، من الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة وعلى أئمتهم ، والذين ساروا على ما سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ^٥ .
فأهل السنة والجماعة :

هم المستمسكون بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الذين اجتمعوا على ذلك ، وهم الصحابة والتابعون ، وأئمة الهدى المتبعون لهم ، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين ^٦ ، الذين استقموا على الاتباع ، وجانبوا الابتداع في أي مكان وزمان ، وهم باقون منصورون إلى يوم القيامة .
فأهل السنة والجماعة هم المتصفون باتباع السنة ومجانبة محدثات الأمور والبدع في الدين .

ولا يُقصد بالجماعة هنا مجموع الناس وعامتهم ، ولا أغلبهم ولا سوادهم ^٧ ما لم يجتمعوا على الحق ، لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكر أن الطائفة المنصورة (أهل السنة والجماعة) فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة ، كما جاء في الحديث الصحيح ،

^١ - انظر : مختار الصحاح (سنن) ص ٣١٧ . ولسان العرب (سنن) ١٣ / ٢٢٠ - ٢٢٨ .

^٢ - انظر : الوصية الكبرى في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص ٢٣ . وشرح العقيدة الواسطية (*) ، لمدخل خليل هراس ، ص ١٦ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٣ .

^٣ - انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لابن تيمية ، ص ٧٧ .

^٤ - انظر : لسان العرب (جمع) ٨ / ٥٣ - ٦٠ .

^٥ - انظر : الاعتصام ، للشاطبي ، ١ / ٢٨ . وشرح العقيدة الواسطية * لمحمد خليل هراس ص ١٦ - ١٧ . وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣ . [* العقيدة الواسطية لابن تيمية والشرح لهراس] .

^٦ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لأبي العز الحنفي ، ص ٣٣٠ . ورسائل في العقيدة ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، ص ٥٣ .

^٧ - يُستثنى من ذلك عصر الصحابة والتابعين ، فإن السواد الأعظم في ذلك الوقت على الحق لقرب الناس من عهد النبوة ولتزكية النبي صلى الله عليه وسلم للقرون الفاضلة . أما من بعدهم فلا عبرة بالكثرة لعموم الأدلة التي تدل على الناس سيكثر فيهم الخبث ، وتفترق الأمة إلى ثلاث وسبعين ، وأن الإسلام يعود قريباً .. الخ .

(*) أقصد بالاصطلاح في الموضوعين اصطلاح علماء العقيدة وأصول الدين .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)^١ .

وقد يُسَمَّى أهل السنة ببعض أسمائهم أو صفاتهم المأثورة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، أو عن أئمتهم المقتدى بهم ، فقد يُطلق عليهم (أهل السنة) دون إضافة (الجماعة) . وقد يُطلق عليهم (الجماعة) فقط ، أخذاً من وصف النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إن هذه الأمة ستفترق على إحدى وسبعين فرقة ، كلها في النار ، إلا واحدة هي : الجماعة)^٢ .

وعبارة **السلف الصالح** تُرادف أهل السنة والجماعة في اصطلاح المحققين ، كما يُطلق عليها - أيضاً - **أهل الأثر** أي السنة المأثورة^٣ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه .

ويُسمون أهل الحديث : وهم الآخذون بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رواية ودراية ، والمتبعون لهديه - صلى الله عليه وسلم - ظاهراً وباطناً . فأهل السنة كلهم أهل حديث على هذا المعنى .

وتسمية أهل السنة والطائفة المنصورة والفرقة الناجية بأنهم أهل الحديث هذا أمر مستفيض عن السلف ، لأنه مقتضى النصوص ووصف الواقع والحال ، وقد ثبت ذلك عن ابن المبارك ، وابن المديني ، وأحمد بن حنبل ، وأحمد بن سنان وغيرهم - رضي الله عنهم أجمعين^٤ .

وكذا سماهم كثير من الأئمة ، وصدروا مؤلفاتهم بذلك ، مثل : كتاب " عقيدة السلف أصحاب الحديث " ، للإمام اسماعيل الصابوني ، ت : ٤٤٩ .
وانظر : مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ٤ / ٩ ، ٩٥ ، فقد أطلق على أهل السنة (أهل الحديث) .

١ - أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب شرح السنة ، الحديث ٤٥٩٦ . وابن ماجه ، باب افتراق الأمم ، الحديث ٣٩٩١ .
والترمذي ، كتاب الإيمان ، باب افتراق هذه الأمة ، الحديث ٢٦٤٠ ، وقال " حديث حسن صحيح " .
٢ - أخرجه ابن أبي عاصم في الكتاب والسنة ١ / ٣٣ . وقال الألباني : حديث صحيح بما قبله وما بعده بعد أن ذكر طرقاً آخر للحديث

٣ - انظر مجموع الفتاوى ، لابن تيمية / ١٠ . وشرح الطحاوية ، ص ٤٣٩ . ودم التاويل ، للمقدسي ، ص ٣٣١ .
٤ - راجع السلسلة الصحيحة للألباني ، الحديث رقم ٢٧٠ ، المجالد الأول ، الجزء الثالث ، ص ١٣٤ - ١٣٧ . وانظر : سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، الحديث ٢٢٢٩ .

والفرقة الناجية : وهي التي تنجوا من النار باتباعها سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذاً من قوله - صلى الله عليه وسلم - : (وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة)^١ .

وكذا كان كثير من السلف وأئمة الدين يصفون أهل السنة بالفرقة الناجية^٢ والظاهرين على الحق ، **الطائفة المنصورة :** وهم الذين عناهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله : (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)^٣ .

ويُطلق عليهم - أحياناً - **الجماعة** - كما أسلفت - أو **أهل الجماعة**^٤ .
فالجماعة هم جماعة أهل السنة ، الذين اجتمعوا على الحق ، من الاجتماع ، وهو ضد الرفقة ، كما أنها تضمنت معنى الاجتماع - أيضاً - وهو الاتفاق وضده الاختلاف ، فأهل السنة موصوفون بالاجتماع على أصول الدين ، والإجماع عليها - أيضاً - والاجتماع على أئمة الدين وولاية الأمر .

ويُوصفون - أيضاً - بـ **أهل الاتباع** ، لأن من طريقتهم : " اتباع آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باطناً وظاهراً ، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والانصار ، واتباع وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليه بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة ...)"^٥ -^٦ .

^١ - أخرج أبو داود في سننه ، باب شرح السنة ، من كتاب السنة ، الحديث رقم (٤٥٩٧) ، ٥ / ٥ ، ٦ . عن معاوية ، وأحمد في المسند ، بإسناد صحيح عن أنس بن مالك ٣ / ١٢٠ . وله شاهد عند الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ورقم ٢٦٤٠ . وعند الحاكم في المستدرک ، كتاب العلم ، ١ / ١٢٨ - ١٢٩ . وقد صححه الألباني في " الصحيحة " - المجلد الأول - الحديث / ٢٠٤ .

^٢ - انظر : العقيدة الواسطية ، لابن تيمية ، شرح محمد خليل هراس ، ص ١٦ .
^٣ - حديث صحيح مستفيض أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم . راجع : تخريج الحديث في سلسلة الصحيحة للألباني ، حديث / ٢٧٠ ، الجزء الثالث ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

^٤ - انظر : العقيدة الواسطية ، لابن تيمية ، شرح محمد خليل هراس ، ١٨٠ .
^٥ - أخرجه ابن عاصم في كتاب السنة . قال الألباني : إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات . كتاب " السنة " ١٩ / ١ - ٢٩ - الحديث / ٣١ ، ٥٤ . والحديث مروى في السنن والمسانيد .

^٦ - انظر : العقيدة الواسطية ، لابن تيمية ، شرح محمد خليل هراس ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

المبحث الثاني

في تاريخ العقيدة وأصولها

يشمل :

- ١- تاريخ العقيدة (عقيدة التوحيد) ، ومتى طرأ الانحراف عليها .
- ٢- عقيدة التوحيد في دعوة الرسل عموماً .
- ٣- عقيدة التوحيد في دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، بخاصة .
- ٤- مصادر العقيدة عند أهل السنة .
- ٥- خصائص العقيدة (عقيدة أهل السنة والجماعة) .

تأريخ العقيدة (عقيدة التوحيد) ومتى طرأ الانحراف عليها

عقيدة التوحيد هي الدين الحنيف ، والدين القيم ، دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فهي موجودة مع وجود هذا الإنسان كما ثبت بالدليل القطعي وهو القرآن الكريم الذي هو أوثق مصدر في التاريخ .

قال الله تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [سورة الروم ، الآية : ٣٠] .

فآدم عليه السلام ، قد فطره الله على العقيدة السليمة ، وعلمه ما لم يعلم من أمور الدين والدنيا ، فكان موحداً لله - تعالى - التوحيد الخاص ، معتقداً لله ما يجب له - تعالى - من التعظيم والطاعة والرجاء والخشية ، وقد اصطفاه الله من عباده المخلصين ، قال الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } [سورة آل عمران ، الآية : ٣٣] .

وقد شرفه الله - تعالى - وأسجد له الملائكة ، قال - تعالى : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } [سورة البقرة : الآية : ٣٤] .

وقد أخذ الله - تعالى - على بني آدم العهد والميثاق أنه ربهم ، وأشهدهم على أنفسهم في أصل خلقهم من أصلابهم ، فقال - تعالى - : { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } [سورة الأعراف ، الآيتان ١٧٢ - ١٧٣] .

والناس كلهم يُولدون على الفطرة وينشأون عليها ، مالم تصرفهم عنها صوارف الشر والضلال ، من التربية على الكفر والضلال ، ومن أهواء و وساوس الشياطين ، وشبهات المبطلين ، وشهوات الدنيا ، وقد جاء في الحديث القدسي قوله تعالى : " ... وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم و حرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطاناً .. " الحديث ^١ .

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار . الحديث / ٢٨٦٥ ، ج ٣ / ٢١٩٧ .

وقد أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك بقوله : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو يُنصرّانه ، أو يُمجسانه)^١ .. الحديث .
 فكما يتوجه هذا إلى كل إنسان مولود ، يتوجه إلى أول إنسان وهو آدم - عليه السلام - من باب أولى ، فعقيدة التوحيد والخير والصلاح هي الأصل الذي كان عليه آدم - عليه السلام - ، والأجيال الأولى من ذريته ، فكانوا على التوحيد الخالص^٢ . أما الشرك والضلال فإنما هي أمور طارئة لم تحدث إلا بعد آدم - عليه السلام - بأزمان وأجيال ، وعلى التدريج ، فقد صح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : (كان بين نوح و آدم عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق ، فاختلّفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)^٣ .

وإلى هذا تشير الآية في قوله تعالى : { **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ** } [سورة البقرة ، الآية : ٢١٣] .

أي : كانوا على الحق والهدى أمة واحدة على دين واحد - أول الأمر - فاختلّفوا فيما بعد . كذا فسرها كثير من السلف^٤ .

وفي عهد نوح - عليه السلام - كان الشرك سائداً في قومه ، فكانوا يعبدون الأصنام من دون الله ، لذلك قال الله تعالى عن نوح : { **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** } [الأيتان : ٢٥ - ٢٦ / سورة هود] .

وبهذا يتبين قطعاً أن العقيدة السليمة والتوحيد الخالص هما الأصل في تاريخ البشرية ، وأن الضلال والشرك والوثنية أمور طارئة بعد أحقاب من الزمان بعد آدم - عليه السلام (*) .. والله أعلم .

^١ - متفق عليه . انظر : صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي - فتح الباري ٣ / ٢١٩ . ومسلم - كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة . الحديث / ٢٦٥٨ ، ج ٣ / ١٠٤٧ .

^٢ - وهذا خلاف النظريات الخاطئة التي سادت بين من يسمون بعلماء الاجتماع وغيرهم وبعض الكتاب المحدثين ، التي تزعم أن البشرية كانت تعبد آلهة متعددة ، ثم تطورت من الشرك والوثنية إلى التثليث والثنوية فالتوحيد ، وهذا زعم يكذبه القرآن والسنة والعقل السليم .

^٣ - ممن قال بهذا - أيضاً - قتادة وابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهم ، هامش (٣) . وتؤيده قراءة (كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا) .

^٤ - راجع الآية السابقة في : تفسير الطبري ٢ / ١٩٤ - ١٩٥ . وتفسير ابن كثير ١ / ٢١٨ . وانظر دعوة التوحيد ، للدكتور محمد خليل هراس ، ص ١٠٦ - ١١٩ .

(*) هذا بالنسبة للإنسان ، وكذلك الملائكة والجن الأصل فيها التوحيد . أما المخلوقات الأخرى غير المكلفة فإنما قامت على التوحيد والعدل ولا يتصور منها الخروج عن ذلك .

(٢)

عقيدة التوحيد في دعوة الرسل عامة

إذا تأملنا قصص المرسلين التي وردت في القرآن الكريم ، وما حدث لهم مع أممهم ، نجد أنهم اتفقوا جميعاً على دعوة واحدة ، هي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، واجتناب الشرك ، وإن اختلفت شرائعهم^١ .

بل إن مسألة الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك ووسائله هي القضية الأولى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بين الرسل وأممهم ، قال الله - تعالى - مُخْبِراً عما أرسل به جميع الرسل :

{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [سورة الأنبياء

، الآية : ٢٥] .

وقال - تعالى - : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }

[سورة النحل ، الآية : ٣٦] .

وقال - تعالى - : { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ } [النحل ، الآية : ٢] .

وإذن : فجميع الرسل كان أول وأهم ما دعوا إليه هو التوحيد ، توحيد الله بالعبادة وتقواه وطاعته واطاعة رسله . وكما ذكر الله عنهم ذلك على سبيل التعميم ، فقد ذكر عن بعضهم على التفصيل :

فنوح - عليه السلام - قال لقومه : { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف ،

الآية : ٥٩] .

وكذلك هود - عليه السلام - قال لقومه : { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } [الأعراف ، الآية : ٦٥] .

وكذلك شعيب - عليه السلام - قال لقومه : { يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }

[سورة الأعراف ، الآية : ٨٥] .

وإبراهيم - عليه السلام - قال لقومه : { اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ } [سورة العنكبوت ، الآية : ١٦] .

فالدعوة إلى التوحيد ، والتحذير من الشرك ، وصحة العقيدة وسلامتها هما الأصل الأول في دعوة المسلمين ، من لدن نوح إلى محمد - عليهم السلام - وهذا هو الغاية الأولى التي بها تصلح كل شئون الدنيا والدين ، فإذا صحت العقيدة أذعن الناس لله وحده وأطاعوا رسله واستقاموا على شرعه على هدى وبصيرة ، ومن ثم يصلح كل شئ من أمورهم الدينية والدنيوية .

وهذا لا يعني أن الرسل لم يهتموا بإصلاح المفاصل الأخرى ، ولا أنهم لم يدعوا إلى الفضائل الأخرى ، بل جاءوا بشرائع ومناهج تسير عليها الأمم وتصلح شئون حياتها

^١ - انظر : تطهير الاعتقاد ، للصنعاني ، ص ٥ .

الدنيا ، وأمروا بالمعروف والإصلاح والعدل، ونهوا عن المنكر والفساد والظلم ،
وأمروا بكل خير وفضيلة ، ونهوا عن كل شر ورذيلة تفصيلاً وإجمالاً .

**لكن أعظم الفضائل توحيد الله - تعالى - وتقواه ، وأعظم المفسد الشرك بالله ، وهو
الظلم العظيم . فكان ذلك أعظم وأول ما أرسل الله به الرسل .**

**وهكذا كل دعوة لا تقوم على هذا الأساس - في أي زمان ومكان - فإنها دعوة قاصرة
وناقصة ، ويخشى أن يكون نصيبها إما الفشل ، وإما الانحراف عن الصراط المستقيم ،
أو هما معاً ، لأن هذا أصل عظيم من أصول الدين متى غفلت عنه الأمم وقعت في
كارثة الشرك والابتداع . نسأل الله السلامة والعافية من ذلك .**

عقيدة التوحيد في دعوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم

إذا تأملنا القرآن الكريم ، وسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة ، نصل إلى حقيقة واضحة كل الوضوح ، وهي :

* أن غالب آيات القرآن الكريم جاءت في تقرير عقيدة التوحيد ، توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، والدعوة إلى إخلاص العبادة والدين لله وحده لا شريك له ، وتثبيت أصول الاعتقاد (الإيمان والإسلام) .

أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضى غالب وقته - بعد النبوة - في تقرير الاعتقاد والدعوة إلى توحيد الله - تعالى - بالعبادة والطاعة ، وهذا هو مقتضى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

فالدعوة إلى العقيدة تأصيلاً وتصحيحاً شملت الجزء الأكبر من جهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - و وقته في عهد النبوة .

وإليك بيان ذلك :

١- أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- قضى ثلاثاً وعشرين سنة في الدعوة إلى الله . هي عهد النبوة ، منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جُلها كانت في الدعوة إلى تحقيق (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أي الدعوة إلى توحيد الله - تعالى- بالعبادة والألوهية وحده لا شريك له ، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء ، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة .

ومنها عشر سنين في المدينة ، وكانت موزعة بين تشريع الأحكام ، وتثبيت العقيدة ، والحفاظ عليها ، وحمائتها من الشبهات ، والجهاد في سبيلها ، أي أن أغلبها في تقرير التوحيد وأصول الدين ، ومن ذلك مجادلة أهل الكتاب ، وبيان بطلان معتقداتهم المحرفة ، والتصدي لشبهاتهم وشبهات المنافقين ، وصد كيدهم للإسلام والمسلمين ، وكل هذا في حماية العقيدة قبل كل شيء .

فأي دعوة لا تولى أمر العقيدة من الاهتمام كما أولاهها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علماء وعملاً ؛ فهي ناقصة .

١- أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما قاتل الناس على العقيدة (عقيدة التوحيد) حتى يكون الدين لله وحده ، تلك العقيدة المتمثلة في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، على الرغم أن سائر المفاصد والشُرور كانت سائدة في ذلك الوقت ، ومع

ذلك فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- جعل الغاية من قتال الناس تحقيق التوحيد، وأركان الإسلام ، فقد قال - صلى الله عليه وسلم - :
" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، و يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام ، و حسابهم على الله " ^١ .

وهذا لا يعني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يبال بالأمر الأخرى من الدعوة إلى الفضائل والأخلاق الحميدة من (البر والصلة والصدق والوفاء والأمانة) ، وترك ضدها من (الآثام والكبائر كالربا والظلم وقطيعة الرحم) .
وحاشاه ذلك ، لكنه جعلها في مرتبة بعد أصول الاعتقاد ، لأنه يعلم وهو القدوة - صلى الله عليه وسلم - أن الناس إذا استقاموا على دين الله وأخلصوا له الطاعة والعبادة حسنت نياتهم وأعمالهم ، وفعلوا الخيرات واحتنبوا المنهيات في الجملة ، وأمروا بالمعروف حتى يسود بينهم ويظهر ، ونهوا عن المنكر حتى لا يظهر ولا يسود .
إذن فمدار الخير على صلاح العقيدة ، فإذا صلحت استقام الناس على الحق والخير ، وإذا فسدت فسدت أحوال الناس ، واستحكمت فيهم الأهواء والآثام ، وسهلت عليهم المنكرات .

وإلى هذا يشير الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم : " ألا وإن الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " ^٢ .
فالرسول - صلى الله عليه وسلم - بالإضافة إلى كونه دعا إلى إخلاص الدين لله ، وقاتل الناس حتى يشهدوا بكلمة الإخلاص ، فإنه - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو إلى جميع الأخلاق الفاضلة ، جملة وتفصيلاً ، وينهى عن ضدها ، جملة وتفصيلاً .
وكما اهتم - صلى الله عليه وسلم - بإصلاح الدين ، كان يعمل على إصلاح دنيا الناس ، إنما كان ذلك كله في مرتبة دون الاهتمام بامر التوحيد وإخلاص الدين لله وحده ، وهذا ما يجله أو يتجاهله المنازع في هذه المسألة .

٣ - إذا تأملنا القرآن الكريم ، المنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين ومنهاجاً للمسلمين إلى يوم الدين ، وجدنا أن أغلبه في تقرير العقيدة وتقرير أصولها ، وتحرير العبادة والطاعة لله وحده لا شريك له ، واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

فإن أول شئ نزل به القرآن ، وأمر الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يفعله هو أن يكبر الله تعالى ويعظمه وحده ، وأن ينذر الناس من الشرك ، وأن يتطهر من

^١ - صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، فتح الباري . الحديث ٢٤ ج ١ / ٧٤ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله . الحديث ٢٢ ج ٢ / ٥٣ .
إلا أن مسلماً لم يذكر (إلا بحق الإسلام) .

^٢ - جاء ذلك في حديث أخرجه في الصحيحين . انظر : البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، الحديث ٥٢ ، فتح الباري ١ / ١٢٦ . وصحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، الحديث ١٥٩٩ ج ٣ ، ١٢٢ .

الآثام والذنوب وغيرها ، ويهجر ما هم عليه من عبادة الأصنام ، ويصبر على ذلك كله ، قال الله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * فُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ * وَتَيَّابِكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمُنْ * تَسْتَكْبِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ } [سورة المدثر ، الآية : ١ - ٧] .

ثم استمر القرآن الكريم ينتزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سائر العهد المكي ، لتثبيت العقيدة وتقريرها ، والدعوة إلى إخلاص العبادة والدين لله وحده ، واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم .

لذلك نجد أن أغلب آيات القرآن الكريم في العقيدة : إما بصريح العبارة ، وإما بالإشارة ، حيث إن معظم القرآن جاء في تقرير توحيد الألوهية وإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات ، وأصول الإيمان والإسلام ، وأمور الغيب والقدر خيره وشره ، واليوم الآخر ، والجنة وأهلها ونعيمها ، والنار وأهلها وعذابها (الوعد والوعيد) ، وأصول العقيدة تدور على هذه الأمور .

وقد ذكر العلماء أن القرآن : ثلث أحكام ، وثلث أخبار ، وثلث توحيد^١ . وهذا ما فسروا به قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن " ^٢ .

فإن { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } اشتملت على أعظم التوحيد والتنزيه لله - تعالى - .

وآيات الأحكام لاتخلو من ذكر للعقيدة وأصول الدين ، وذلك من خلال ذكر أسماء الله وصفاته ، وطاعته وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وذكر حكم التشريع ... ونحو ذلك .

وكذلك آيات الأخبار والقصص أغلبها في الإيمان والاعتقاد ، وذلك من خلال أخبار المغيبات والوعيد واليوم الآخر ، ونحو ذلك .

وبهذا يتحقق القول : بأن القرآن الكريم هو الهادي إلى التي هي أقوم إلى يوم القيامة ، وغالب آياته في تقرير العقيدة والدعوة إليها والدفاع عنها والجهاد في سبيلها .

وبهذا نصل إلى نتيجة بينة ، هي : أنه على الدعاة الذين جعلوا القرآن الكريم وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هديهم أن يدركوا هذه الحقيقة من القرآن والسنة ، و يعملوا بها ، كما فعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه . والله الهادي إلى سواء السبيل .

^١ - فممن قال بذلك ابن سريج وابن تيمية وابن حجر - رحمهم الله - . انظر : جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، لابن تيمية ، مجموع الفتاوى ١٧ / ١٣ ، ١٠١ ، ١٠٣ . وانظر : فتح الباري ، لابن حجر ، ٩ / ٦١ .

^٢ - أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، واللفظ لمسلم . انظر : صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافر ، باب فضل قراءة قل هو الله أحد الحديث / ٨٠٠ . والبخاري ، كتاب فضائل القرين ، باب فضل قل هو الله أحد ، ٩ / ٦١ .

مصادر العقيدة (عقيدة أهل السنة والجماعة)

العقيدة لها مصدران أساسيان ، هما :

- ١- كتاب الله - تعالى - (القرآن الكريم) .
 - ٢- ما صح من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .
- فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .
وإجماع السلف الصالح : مصدرٌ مبناه على الكتاب والسنة^١ .

أما الفطرة والعقل السليم فهما مؤيدان يوافقان الكتاب والسنة ، ويدركان أصول الاعتقاد على الإجمال لا على التفصيل، فالعقل والفطرة يدركان وجود الله وعظمته، وضرورة طاعته وعبادته ، واتصافه بصفات العظمة والجلال على وجه العموم .
 كما أن العقل والفطرة السليمين يدركان ضرورة النبوات وإرسال الرسل ، وضرورة البعث والجزاء على الأعمال ، كذلك ، على الإجمال لا على التفصيل .
 أما هذه الأمور وسائر أمور الغيب ، فلا سبيل إلى إدراك شئٍ منها على التفصيل إلا عن طريق الكتاب والسنة (الوحي) ، وإلا لما كانت غيباً .
 وتعارض النص الصريح من الكتاب والسنة مع العقل الصحيح (السليم) غير متصور أصلاً ، بل هو مستحيل ، فإذا جاء ما يوهم ذلك فإن الوحي مقدّم ومحكم^٢ . لأنه صادر عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - والعقل لا عصمة له ، بل هو نظر البشر الناقص^٣ . وهو معرض للوهم والخطأ والنسيان والهوى والجهل والعجز ، فهو قطعاً ناقص .

^١ - انظر : الاعتصام ، للشاطبي ، ٢ / ٢٥٢ .

^٢ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، ص ١٤٠ ، ١٤١ . وراجع : درء تعارض العقل مع النقل ، لابن تيمية ، ١ / ٨٨ - ٢٨٠ . ويراجع الكتاب كله فهو مفيد جداً بهذا الصدد .

^٣ - المرجع السابق .

من خصائص العقيدة الإسلامية وأتباعها

إن المتأمل المنصف ، لو قارن بين المعتقدات السائدة بين الناس اليوم ؛ لوجد للعقيدة الإسلامية - المتمثلة في عقيدة أهل السنة والجماعة - خصائص وسمات تميزها وأهلها بوضوح عن المعتقدات الأخرى من ديانات أو فرق أو مذاهب أو غيرها .

ومن هذه الخصائص والسمات :

١ - سلامة الصدر :

وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وأقوالهم فحسب . وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب أهل الكلام والمبتدعة والصوفية ، الذين يعتمدون على العقل والنظر ، أو على الكشف والحدس والإلهام والوجد ، وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة التي يُحكّمونها أو يعتمدونها في أمور الغيب ، (و العقيدة كلها غيب) .

أما أهل السنة فهم - بحمد الله - معتصمون بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وإجماع السلف الصالح وأقوالهم ، وأي معتقد يستمد من غير هذه المصادر إنما هو ضلال وبدعة .

فالذين يزعمون أنهما يستمدون شيئاً من الدين عن طريق العقل والنظر ، أو علم الكلام والفلسفة ، أو الإلهام والكشف والوجد ، أو الرؤى والأحلام ، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة (غير الأنبياء) أو الإحاطة بعلم الغيب (من أئمة أو رؤساء أو أولياء أو أقطاب أو أغواث أو نحوهم) ، أو يزعمون أنه يسعهم العمل بأنظمة البشر وقوانينهم ، من زعم ذلك فقد افتري على الله أعظم الفرية ، ونقول لمن زعم ذلك كما قال الله - تعالى - لمن قال عليه بغير علم :

{ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [سورة البقرة ، الآية : ١١١] .

وأنى له أن يأتي إلا بشبه الشيطان .

وهذه الميزة والخصيصة ، أعني الاعتماد على الكتاب والسنة ، ومنهج السلف الصالح ، سمة من سمات أهل السنة ، لا تكاد تتخلف في كل مكان وزمان والحمد لله .

٢- أنها تقوم على التسليم لله - تعالى - ولرسوله - صلى الله عليه وسلم -

لأنها غيب ، والغيب يقوم ويعتمد على التسليم والتصديق المطلق لله - تعالى - ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - فالتسليم بالغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها ، قال تعالى : { أَلَمْ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } [سورة البقرة ، الآية : ١ - ٣] .

والغيب لا تُدرکه العقول ولا تحيط به ، ومن هنا ، فأهل السنة يقفون في أمر العقيدة على ما جاء عن الله وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم - بخلاف أهل البدع والكلام ، فهم يخوضون في ذلك رجماً بالغيب ، وأني لهم أن يحيطوا بعلم الغيب ، فلا هم أراحوا عقولهم^١ بالتسليم ، ولا عقائدهم وضمهم بالاتباع ، ولا تركوا عامة أتباعهم على الفطرة التي فطرهم الله عليها .

٣ - موافقتها للفطرة القويمة والعقل السليم :

لأن عقيدة أهل السنة والجماعة تقوم على الاتباع والافتداء والاهتداء بهدى الله - تعالى - وهدى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وما عليه سلف الأمة ، فهي تستقي من مشرب الفطرة والعقل السليم ، والهدى القويم، وما أعذبه من مشرب . أما المعتقدات الأخرى فما هي إلا أوهام وتخريصات تعمي الفطرة ، وتحير العقول .

٤ - اتصال سندها بالرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين وأئمة الهدى قولاً وعملاً وعلماً واعتقاداً :

فلا يوجد - بحمد الله - أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ليس له أصل وسند وقدوة من الصحابة والتابعين ، وأئمة الدين إلى اليوم ، بخلاف عقائد المبتدعة التي خالفوا فيها السلف ، فهي محدثة ، ولا سند لها من كتاب أو سنة ، أو عن الصحابة والتابعين ، وما لم يكن كذلك فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة^٢ .

٥ - الوضوح والبيان :

تمتاز عقيدة أهل السنة والجماعة بالوضوح والبيان ، وخلوها من التعارض والتناقض والغموض ، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها ، لأنها مستمدة من كلام الله المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى . بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو

^١ - ينبغي أن لا يُفهم من هذا أن الإسلام يحجر على العقل ويعطل وظيفته ويلغي موهبة التفكير لدى الإنسان ، بالعكس فالإسلام أتاح للعقل من مجالات العلم والنظر والتفكير والإبداع ما هو كفيلاً بإشباع هذه النزعة في خلق الله وشئون الحياة وأفاق الكون الواسعة وعجائب النفس الكثيرة ، إنما - كما قلت - قد أراح الله الناس من التفكير فيما لا سبيل له من أمور الغيب . وذلك إشفاقاً على العقل وحماية له من التيه والضياع في متاهات لا يدرك غورها ، والله أعلم .

^٢ - انظر : مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ١ / ٩ .

تأويلهم وتحريفهم ، وشتان بين المشربين ، لا سيما وأن العقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم .

٦ - سلامتها من الاضطراب والتناقض واللبس :

فإن العقيدة الإسلامية الصافية لاضطراب فيها ولا التباس ، وذلك لاعتمادها على الوحي ، وقوة صلة أتباعها بالله ، وتحقيق العبودية له وحده ، والتوكل عليه وحده ، وقوة يقينهم بما معهم من الحق ، وسلامتهم من الحيرة في الدين ، ومن القلق والشك والشبهات ، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلة .
أصدق مثال على ذلك ما حصل لكثير من أئمة علم الكلام والفلسفة والتصوف ، من اضطراب وتقلب وندم ، بسبب ما حصل بينهم من مجانبة عقيدة السلف ، ورجوع كثير منهم إلى التسليم ، وتقرير ما يتعقده السلف ، خاصة عند التقدم في السن ، أو عند الموت .

كما حصل للإمام أبي الحسن الأشعري ، حيث رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في " الإبانة " بعد الاعتزال ثم التفتيق .

والباقلاني ت ٤٠٣ في " التمهيد " .

ومثله أبو محمد الجويني ، ت ٤٣٨ ، والد إمام الحرمين ، في " رسالة في إثبات الاستواء والفوقية " .

ومثله إمام الحرمين ، ت ٤٧٨ في " الرسالة النظامية " .

والشهرستاني ، ت ٥٤٨ ، في " نهاية الإقدام " .

والرازي (فخر الدين) ، ت ٦٠٦ في " أقسام الملذات " وغيرهم كثيرون ، ومن ذلك أيضاً^١ .

سلاسة أتباعها - في العموم - من التلبس بالبدع والشركيات والآثام والكبائر ، فأهل السنة في عمومهم ، هم أسلم الناس من الوقوع في البدع ، ولا تكون فيهم الشركيات . أما الذنوب والمعاصي والكبائر فقد يقع فيها طوائف منهم لكنها فيهم أقل من غيرهم ، وغيرهم لا يسلم من علة من هذه العلة البدعية والشركية ، كما أن المعاصي والكبائر هي في أهل الافتراق أكثر من غيرهم في الجملة .

فالمتكلمة من المعتزلة ، وكثير من الأشاعرة ونحوهم قالوا في الله بغير علم ، وخاضوا في الغيب بغير علم ، والمتصوفة والمقابر يون وسائر أهل البدع عبدوا الله بغير ما شرع ، والرافضة ، والباطنية ونحوهم كذبوا على الله - تعالى - وافتروا على رسوله - صلى

^١ - راجع : مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، ٧٢ / ٤ ، ٧٣ . ودرء التعارض ١ / ١٥٧ - ١٧٠ . وشرح الطحاوية ، لابن أبي العز ، ص ٢٤٢ - ٢٤٧ تحقيق التركي والأرناؤوط . ومقدمة شعيب الأرناؤوط ، على كتاب " أقاويل الثقات " للإمام مرعي بن يوسف الكرعي ، ت ١٠٣٣ ، ص ١٤ - ٢٢ .

الله عليه وسلم - حتى صار الكذب ديناً لهم ، والخوارج تشددوا في الدين فشد الله عليهم .

٧ - أنها سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين :

من أبرز خصائص عقيدة أهل السنة : أنها من أسباب النجاح والنصر والتمكن لمن قام بها ودعا إليها بصدق وعزم وصبر .
فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة . كما أخبرنا بذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله : " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " ^١ .

٨ - هي عقيدة الجماعة والاجتماع :

ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم ، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم وديناهم ، لأنها تردهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين ، وهذه الخاصية لا يمكن أن تتحقق على يد فرقة أو دعوة أو أنظمة لا تقوم على هذه العقيدة أبداً ، والتاريخ شاهد على ذلك ، فالدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعزّ بها الإسلام قديماً وحديثاً ، منذ عهد الخلفاء الراشدين ، والدولة العباسية في أول عهدها ، والدولة العثمانية في أول عهدها ، وعهد صلاح الدين الأيوبي ، والدولة الإسلامية في الأندلس ، وعهد الدولة السعودية ، حيث نصرت السنة ، ودعت إلى التوحيد ، وحاربت البدع والشركيات ، وطهرت البلاد المقدسة منها ، ولا تزال كذلك - بحمد الله - ، وينبغي أن تبقى كذلك على عهدها . وغالب هذه الدول حينما حدث فيها الافتراق وسادت فيها البدع فشلت وانهارت ، و الدول التي قامت على غير السنة ، أشاعت الفوضى والفرقة والبدع والمحدثات ، ومزقت الشمل ، وعطلت الجهاد ، وأشاعت المنكرات ، وصارت على يدها الهزائم ، وانتشرفي عهدها الجهل بالدين ، واندثرت السنة ، مثل دول الرافضة والباطنية، والقرامطة، والصوفيّة، وكدولة بني بويه، والفاطميين (العبيديين) ، التي مزقت المسلمين ، وأشاعت بينهم البدع والشركيات . ولما صارت للمعتزلة وزارة ومراكز في عهد بعض الخلفاء العباسيين ظهرت البدع الكلامية ، وحوصر أئمة أهل السنة ، وافتتن الناس - بل العلماء - في دينهم .

^١ - أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما عن ثوبان رضي الله عنه .

انظر : صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب ٥٣ - ٣ / ١٥٢٣ .

والترمذي - كتاب الفتن - حديث / ٢٢٢٩ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٩ - البقاء والثبات والاستقرار :

من أهم خصائص عقيدة أهل السنة : البقاء والثبات والاستقرار والاتفاق :
فعقيدتهم في أصول الدين ثابتة طيلة هذه القرون ، وإلى أن تقوم الساعة ، بمعنى أنها متفكة ومستقرة ومحفوظة ، رواية ودراية ، في ألفاظها ومعانيها ، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل ، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف ، ولا التلفيق ولا الالتباس ، ولا الزيادة ولا النقص .

ومن أسباب ذلك : أنها مستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى ، وقد تلقاها الصحابة ثم التابعون ، وتابعوهم ، وأئمة الهدى المستمسكون بهديه - صلى الله عليه وسلم - إلى اليوم ، رواية ودراية ، تلقيناً وكتابة .
من ذلك - مثلاً - قول أهل السنة في الصفات إجمالاً وتفصيلاً ، فهو لا يزال واحداً ، وقولهم في كلام الله ، والقرآن ، والاستواء ، والنزول والرؤية ، وقولهم في القدر ، والإيمان ، والشفاعة ، والتوسل ، وغيرها كله لا يزال كما نقل عن السلف والقرون الفاضلة . وهذا مما تكفل به الله من حفظ دينه .

بخلاف الفرق الأخرى ، وأقربها إلى أهل السنة " الأشاعرة " و " الماتريديّة " ، ومع ذلك فهم مضطربون في كل ما خالفوا به السلف مما أولوه أو ابتدعوه^١ ، ويكثر في عقائدهم التلفيق والالتباس والاضطراب ، والتوقف فيما جاء عن الله - تعالى - وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وابتداع الألفاظ والمعاني التي لم ترد عن الله - تعالى - ولا عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

^١ - انظر تفاصيل هذا الموضوع في فتاوى ابن تيمية ٤ / ١ - ٣٠ ، ٥٠ - ٩٧ .

المبحث الثالث

موجز

اعتقاد أهل السنة و الجماعة ومستلزماته

ويشمل :

- ١ - موجز اعتقاد أهل السنة والجماعة .
- ٢ - الاعتصام بعقيدة أهل السنة أمر متعين .
- ٣ - حقيقة الانتماء إلى أهل السنة والجماعة ومستلزماته .
- ٤ - أمثلة لواقع الدعوات المعاصرة حيال عقيدة أهل السنة .
- ٥ - بين أهل السنة والأشاعرة .
- ٦ - من أهم المسائل التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة .
- ٧ - أين أهل السنة ؟ .

موجز اعتقاد أهل السنة والجماعة

أولاً : قواعد عامة ^١ :

- ١- مصادر عقيدة أهل السنة والجماعة :
نظراً لأن عقيدة أهل السنة والجماعة توقيفية ، فهي تقوم على التسليم بما جاء عن الله وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم - دون تحريف ، ولا تأويل ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل .
ولها مصدران أساسيان ، هما :
أ - القرآن الكريم .
ب - ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والإجماع المعتبر في تقرير العقيدة مبنى على الكتاب والسنة أو أحدهما .

والفطرة والعقل السليم : رافدان مؤيدان لا يستقلان بتقرير تفصيلات العقيدة وأصول الدين ، فهما يوافقان الكتاب والسنة ولا يعارضهما .

^١ - استنبطت هذه القواعد من خلال اطلاعي على بعض كتب الأئمة . ومن أهم الكتب التي أفدت منها في استقراء وتقرير هذه القواعد :

- ١- كتاب الإيمان ، للقاسم بن سلام ، ت : ٢٢٤ .
- ٢- الرد على الزنادقة والجهمية ، للإمام أحمد ، ت : ٢٤١ .
- ٣- كتاب الإيمان ، للحافظ العدني ، ت : ٢٤٣ .
- ٤- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، لابن قتيبة ، ت : ٢٧٦ .
- ٥- السنة لابن أبي عاصم ، ت : ٢٨٧ .
- ٦- الرد على الجهمية ، والرد على المريسي ، وكلاهما للدارمي ، ت : ٢٨٠ .
- ٧- السنة ، لعبدالله بن الإمام أحمد ، ت : ٢٩٠ .
- ٨- الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ، ت : ٣٢٤ .
- ٩- الشريعة ، للأجري ، ت : ٣٦٠ .
- ١٠- الشرح والإبانة ، لابن بطة ، ت : ٣٨٧ .
- ١١- عقيدة السلف أصحاب الحديث ، لأبي إسماعيل الصابوني ، ت : ٤٤٩ .
- ١٢- ذم التأويل ، لابن قدامة المقدسي ، ت : ٦٢٠ .
- ١٣- بعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، ت : ٧٢٨ ، وبخاصة : التدمرية ، والواسطية ، والحموية ، ومجموع الفتاوى ، المجلدات (١ - ٩) ، والعقل والنقل ، ومنهاج السنة ، ونقض التأسيس وغيرها .
- ١٤- الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم ، ت : ٧٥١ .
- ١٥- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ، ت : ٧٩٢ .
- ١٦- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري في فتح الباري لابن حجر ، ت : ٨٥٢ .
- ١٧- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان . وغيرها مما هو مثبت بالهوامش لاحقاً .

وإذا ورد ما يوهم التعارض بين النقل والعقل ، اتهمنا عقولنا ، فإن النقل الثابت مقدم ومُحَكَّم في الدين ، فتقديم عقول الناس وأرائهم الناقصة على كلام الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ضلال وتعسف .

٢- ما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وإن كان من خبر الأحاد ، وجب قبوله ^١ .

٣- ما اختلف فيه في أمور الدين فمرده إلى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، (الكتاب والسنة) ^٢ كما فهمها الصحابة والتابعون ، والتابعون لهم من أئمة الهدى المتبعين .

فالمرجع في فهم نصوص العقيدة الواردة في الكتاب والسنة هم الصحابة والتابعون ، ومن اقتفى أثرهم من أئمة الهدى والدين ، ولا عبرة بمن خالفهم ، لأنه متبع غير سبيل المؤمنين .

٤ - أصول الدين والعقيدة توقيفية (قد بينها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن والسنة) :

- فإن كل محدثة في الدين بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، كما صح عن الرسول - صلى الله عليه وسلم .

- فليس لأحد أن يحدث أمراً من أمور الدين ، زاعماً أنه يجب التزامه أو اعتقاده ، فإن الله - تعالى - أكمل الدين ، وانقطع الوحي ، وختمت النبوة ، لقوله - تعالى :
{ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** } [سورة المائدة ، الآية : ٣] .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " من أحدث من أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ " ^٣ ، وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين ، وأصل من أصول العقيدة .

- ومن اعتقد أنه يسعه الخروج عما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من شرع ودين ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه .

٥ - يجب التزام الألفاظ الواردة من الكتاب والسنة في العقيدة ، واجتناب الألفاظ المحدثّة التي ابتدعتها المتكلمون والفلاسفة وسواهم ، لأن العقيدة توقيفية، فهي مما لا يعلمه إلا الله - سبحانه .

^١ - انظر : مختصر الصواعق المرسلّة ، لابن القيم ، اختصار محمد بن الموصلي ، ٢ / ٣٥٩ - ٤٤٦ .

^٢ - انظر : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للبيهقي ، ص ٢٢٧ .

^٣ - أخرجه البخاري في الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، حديث / ٢٦٩٧ . فتح الباري ، ٥ / ٣٠١ .
ومسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، حديث ١٧١٨ .

٦ - أمور العقيدة غيب ، ومبناها على التسليم بما جاء عن الله تعالى، وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم - ظاهراً وباطناً ، ما عقلناه منها وما لم نعقله . فمن لم يُسلم فيها لله - تعالى- ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ، لم يَسَلَمَ دينه ^١ .
- والتسليم لله وللرسول - صلى الله عليه وسلم- يتمثل في التسليم بالكتاب والسنة ^٢ .

٧ - لا يجوز الخوض والجدل والمرء في العقيدة ونصوصها لأنها غيب ، إلا بقدر البيان وإقامة الحجة مع التزام منهج السلف في ذلك ^٣ .

٨ - لايجوز تأويل نصوص العقيدة ^٤ ، ولا صرفها عن ظاهرها بغير دليل شرعي ثابت عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم ^٥ .

٩ - من لوازم العقيدة العمل بالشرعية :

فالحكم بغير ما أنزل الله - تعالى - ينافي التوحيد والتسليم لله - تعالى - وللرسول - صلى الله عليه وسلم ، فالتزام غير شرع الله - تعالى - والعدول المطلق عنه أو تجويز الحكم بغير ما أنزل الله - تعالى - كفر أكبر ، أما العدول عن شرع الله في واقعة معينة لهوى أو إكراه مع التزام بشرع الله فهو كفر أصغر أو ظلم أو فسق !!

ثانياً : قواعد تفصيلية :

١ - عقيدتهم في أسماء الله وصفاته :

إثبات ما أثبتته الله لنفسه ، وما أثبتته له رسوله - صلى الله عليه وسلم - ونفي ما نفاه الله عن نفسه ، وما نفاه رسوله - صلى الله عليه وسلم- من غير تمثيل ولا تكليف، (و لا تشبيه) ، ولا تحريف ، (ولا تأويل) ، ولا تعطيل . كما قال - تعالى :

{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [سورة الشورى ، الآية : ١١] .

والله - تعالى - وصف نفسه ووصفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنه : سميع، بصير، عالم ، متكلم ، حيّ ، قدير، مرید ، وأنه مستوعلى عرشه ، فوق عبادته ، وأنه - تعالى : يرضى ويسخط ، ويغضب ويحب ويكره ، ويجئ وينزل ، ويضحك

^١ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لأبي العز الحنفي ، ص ١٤٣ .

^٢ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، لأبي العز الحنفي ، ص ١٤٠ .

^٣ - انظر : الشرح والإبانة ، ص ١٢٣ - ١٢٧ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٥٨ . والشرية ، للأجري ، ص ٥٤ - ٦٧ .

^٤ - وهذا بخلاف النصوص الواردة في الأحكام ، فإنه لا يجوز تأويلها أو صرفها عن ظاهرها إذا وجد مقتضى الشرعي لها ، وبالشروط التي ذكرها أئمة الدين المعتبرون .

^٥ - انظر : الصواعق المرسلّة ، لابن القيم (المختصر) ص (١٠ - ٩٠) . وذم التأويل لموفق الدين بن قدامة المقدسي ت : ٦٢٠ .

ويعجب ، كما يليق بجلاله وعظمته (مع الجزم بنفي التشبيه) ، كما وصف نفسه - تعالى ووصفه رسوله - صلى الله عليه وسلم : بالنفس ، والوجه ، واليد ، والعين ، وغير ذلك مما جاء في القرآن وصحيح السنة ، فأهل السنة يصفونه بما وصف نفسه ووصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل^١ ولا تأويل .

٢- عقيدتهم في مسائل الإيمان وسائر المغيبات :

ومن ذلك :

أولاً : من أصول أهل السنة أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص^٢ ، ويشمل الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه ، أو أخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم - من أمور الغيب والشهادة جملة وتفصيلا ، ومن ذلك :

(أ) الإيمان بالله تعالى وتوحيده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات^٣ .

(ب) الإيمان بالملائكة وأنهم عباد مكرّمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما

يؤمرون ، وأنهم موكلون بعبادة الله تعالى ، ومنهم من له وظائف وأعمال أخرى ، من إنزال الوحي ، وكتابة الأعمال ، والمقادير ، وقبض الأرواح ، ونصر المؤمنين ، وتسيير السحاب ، وإنزال المطر ، ومنهم حملة العرش^٤ . . . إلخ .

(ج) الإيمان بالكتب المنزلة من الله تعالى إلى رسله هداية للعباد ، ومنها : الزبور ، والتوراة ، والإنجيل ، والقرآن الكريم ، وهو أكملها وناسخها^٥ .

١ - راجع السنة ، لعبدالله بن الإمام أحمد ، ١ / ٢٦٤ - ٣٠٧ ، حيث اشتمل على كثير من أقوال السلف في ذلك . وانظر : الشرح والإبانة لابن بطة ، ص ١٨٧ - ١٩٢ ، ص ٢١٣ - ٢١٨ . وعقيدة السلف أصحاب الحديث ، للإمام الصابوني ، ص ٤ - ٧ . والتدمرية ، لابن تيمية ، ص ٧ . والواسطية ، لابن تيمية ، بشرح محمد خليل هراس ، ص ٢١ - ٢٣ . وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، ص ١٦٢ - ٣٦٦ . وكتاب الأسماء والصفات ، للبيهقي ، ص ١٣٧ - ١٣٨ . والتحف في مذاهب السلف ، للشوكاني ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، ص ٨٤ - ٩٦ ، من مجموعة الرسائل المنبرية . ورسالة في إثبات الاستواء والفوقية ، لأبي محمد عبدالله الجويني ، المجلد الأول ، الجزء الأول ص ١٧٤ - ١٨٦ من مجموعة الرسائل المنبرية . والرد على الجهمية ، للدارمي ، ص ١٤ . وذم التأويل ، لابن قدامة المقدسي ، ص ١١ . والفتوى الحموية الكبرى ، لابن تيمية . وأقاويل النقاة في تأويل الأسماء والصفات ، لمرعي بن يوسف الكرمي .

٢ - انظر : كتاب السنة ، لعبدالله بن أحمد ، ١ / ٣٠٧ ، تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني . والشرح والإبانة لابن بطة ، ص ١٧٦-١٧٧ . والاعتقاد للبيهقي ، ص ١٧٤ . والإيمان لابن تيمية ، ص ١٨٦ - ٢٦١ . ولمعة الاعتقاد ، للمقدسي ، ص ٢٨ . والإبانة ، للأشعري ، ص ٦٧ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٨٨ . وعقيدة السلف ، للصابوني ، ص ٦٧ . وشرح السنة ، للبعوي ، ١ / ٣٣ .

٣ - توحيد الأسماء والصفات يعني : إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه ، وما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه ، وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتنزيهه من كل عيب ونقص .

٤ - انظر : الشرح والإبانة ، لابن بطة ، ص ٢١٠ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٤٣ - ٢٤٨ .

٥ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٥٧ .

(د) الإيمان بالأنبياء والمرسلين جميعاً ، ومن جاء ذكره منهم في القرآن الكريم وصحيح السنة ؛ وجب الإيمان به على وجه الخصوص ، وأنهم كلهم بلغوا رسالات الله ودعوا إلى توحيده ، وحذروا من الشرك^١ .

{ أن اعبدوا اللهَ واجتنبوا الطَّاعُوتَ } [سورة النحل ، الآية : ٣٦] .

وأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - هو أفضل الخلق وخاتم النبيين بعثه الله إلى الناس جميعاً ، وبموته - صلى الله عليه وسلم - انقطع الوحي وأكمل الله الدين^٢ .

(هـ) الإيمان باليوم الآخر وأن الموت حق ، وبنعيم القبر وعذابه ، والبعث والنفخ في الصور ، والنشور والعرض ، والحساب والجزاء ، والصحف والميزان ، والصراف والحوض ، والجنة ونعيمها ، والنار وعذابها^٣ . . . الخ .

ويؤمنون بالساعة وأشراتها ، ومنها : خروج الدجال ، ونزول عيسى- عليه السلام - وخروج المهدي ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة^٤ ، وغير ذلك مما ثبت في الأخبار .

(و) الإيمان بالقدر خيره وشره من الله - تعالى- وأن الله علم كل شيء قبل أن يكون ، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ ، وأنه - تعالى - ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه خالق كل شيء ، وقد قدر الأرزاق والآجال ، والسعادة والشقاء ، والهداية والضلال ، وأنه - تعالى - فعّال لما يريد^٥ ، وأنه - تعالى - أخذ الميثاق على بني آدم وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم^٦ .

ثانياً القرآن : من أصول أهل السنة : أن القرآن الكريم كلام الله مُنزل غير مخلوق ، وأن من زعم أنه مخلوق فقد كفر^٧ .

ثالثاً : الرؤية ، وأن المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم من غير كيف ولا إحاطة^٨ .

١ - انظر : الشرح والإبانة ، ص ٢١١ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٠٣ - ١٠٥ . والاعتقاد ، للبيهقي ، ص ٢٥٥ - ٣٠٥ .
٣ - شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٤٤ - ٣٥٣ ، ٣٦٩ . وعقيدة السلف أصحاب الحديث ، للصابوني ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ .
والشرح والإبانة ، ص ١٩٧ - ٢٠٨ ، ٢١٩ - ٢٢٣ .
٤ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٤٧ . ولمعة الاعتقاد ، ص ٣٠ ، ٣١ .
٥ - انظر : عقيدة السلف أصحاب الحديث ، للصابوني ، ص ٧٥ - ٨٢ . والشرح والإبانة ، ص ١٩٢ . والإبانة ، للأشعري ، ص ٥٦ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٨٥ .
٦ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٨٥ . وتفسير ابن كثير ، ص ٢٢٧ - ٢٢٩ .
٧ - راجع : السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ، ١ / ١٣٢ . ولمعة الاعتقاد ، لمقدسي ، ص ١٥ - ١٨ . والاعتقاد ، للبيهقي ، ص ٩٤ - ١١٠ . والشرح والإبانة ، لابن بطة ، ص ١٨٤ - ١٨٦ . والإبانة ، للأشعري ، ص ٥٦ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٠٧ - ١٠٩ . وعقيدة السلف أصحاب الحديث ، للصابوني ، ص ٧ .
٨ - راجع : السنة ، لعبدالله بن الإمام احمد ، / ٢٢٩١ - ٢٦٤ ، فقد اشتمل على كثير من أقوال السلف في ذلك ، تحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني . وانظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٦ .

رابعاً : الشفاعة ، ويؤمنون بسائر الشفاعات التي ثبتت في القرآن والسنة بشروطها يوم القيامة ، وأعظمها شفاعة محمد - صلى الله عليه وسلم - العظمى لخلائق يوم القيامة ، وشفاعته - صلى الله عليه وسلم - لأهل الكبائر من أمته ، وغير ذلك من الشفاعات له - صلى الله عليه وسلم - ولغيره من الملائكة والنبیین والمؤمنين وغيرهم ، كما جاءت بذلك الآثار الصحيحة ^١ .

خامساً : الإسراء والمعراج - الإسراء إلى بيت المقدس ، والمعراج إلى السماء السابعة - وسدرة المنتهى ، ثابت للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث الثابتة ^٢ .

٣ - عقيدتهم في بقية الأصول والأحكام الاعتقادية :

أولاً : من أصول الدين عند أهل السنة : حبّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى يكون أحبّ للمرء من نفسه و ولده ، والناس أجمعين ، ثم حب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزوجاته أمهات المؤمنين ، والترضي عنهم، وأنهم أفضل الأمة، والكف عما شجر بينهم ، وأن بغضهم أو الطعن في أحد منهم ضلال ونفاق ^٣ .
وأفضلهم - رضي الله عنهم جميعاً - أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليّ ، والعشرة المبشرون بالجنة ^٤ .

كما يدين أهل السنة بحب آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويستوصون بهم خيراً ، ويرعون لهم حقوقهم ، كما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ^٥ .

ثانياً : مجانبة أهل البدع والنفاق ، والأهواء ، وأهل الكلام ، وبغضهم ، والتحذير منهم ، كالرافضة ، والجهمية ، والخوارج ، والقدرية ، وغلاة المرجئة ، وغلاة الصوفية ، والفلاسفة ، وسائر الفرق والطوائف ^٦ ، التي جانبت السنة والجماعة ^٧ .

^١ - انظر : السنة ، لابن أبي عاصم ، ٢ / ٣٦٤ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٧٤ . والشريعة للأجري ، ص ٣٢١ - ٢٣٦ . ولمعة الاعتقاد ، ص ٣٤ . ومجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، ص ١١٦ / ١ - ١١٧ .
^٢ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٦٨ . والشريعة ، للأجري ، ص ٤٨١ .
^٣ - انظر : الإبانة ، للأشعري ، ص ٥٩ . ولمعة الاعتقاد ، للمقدسي ، ص ٣٦ . والشرح والإبانة لابن بطة ، ص ١٥٩ - ١٧٠ ، ٢٦٥ - ٢٧١ . والوصية الكبرى في عقيدة الفرقة الناجية ، لابن تيمية ، ص ٥٥ - ٥٨ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤١٤ .
^٤ - انظر : الوصية الكبرى ، لابن تيمية ، ص ٥٩ - ٦٠ . والشرح والإبانة لابن بطة ، ص ٢٥٧ - ٢٦١ . والاعتقاد ، للبيهقي ، ص ٣١٧ - ٣٢٣ . والإبانة ، للأشعري ، ص ٥٩ . وعقيدة السلف ، للصابوني ، ص ٨٦ .
^٥ - انظر : الوصية الكبرى ، لابن تيمية ، ص ٥٨ - ٥٩ . والاعتقاد ، للبيهقي ، ص ٣٢٤ - ٣٣٠ . ولمعة الاعتقاد ، ص ٤٢ .
^٦ - تدخل في ذلك المذاهب والفرق والاتجاهات الحديثة ، كالشيوعية ، والقاديانية ، والبهائية ، والبابية ، وكذلك الاشتراكية ، والعلمانية ، والبعثية ، وسائر القوميات التي تقوم على العصبية .
^٧ - انظر : الإبانة ، للأشعري ، ص ٦٤ . ولمعة الاعتقاد ، ص ٤٢ - ٤٣ . وعقيدة السلف أصحاب الحديث ، للصابوني ، ص ١١٢ . وشرح السنة للبخاري ، ص ٢١٧ - ٢٣٠ .

ثالثاً : لزوم الجماعة^١ ، الاجتماع والاعتصام بحبل الله ، (القرآن والسنة) ، فإن الفرقة عن أهل الحق شذوذ وهلكة وضلال^٢ .
قال تعالى : { **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** } [سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣] .

رابعاً : وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف ، ما لم يأمرُوا بمعصية ، ولا يجوز الخروج عليهم ، وإن جاروا ، إلا أن يرى منهم كفرٌ بواحٍ عليه من الله برهان^٣ .

خامساً : وجوب النصيحة لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم- ثم لأئمة المسلمين ، (وهم لولاة الأمور من الأمراء والعلماء) وعامتهم^٤ .

سادساً : الجهاد مع الإمام - برأ كان أو فاجراً ، وهو (أي الجهاد) من شعائر الدين وذروة سنام الإسلام ، وأنه قائم إلى يوم القيامة^٥ .

سابعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين ، ومن أعظم شعائر الإسلام ، وهو واجب على الاستطاعة^٦ .

ثامناً : أحكام المسلمين وحقوقهم :

١ - من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وصلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأظه شعائر الإسلام ، فهو مسلم له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم ، حرام الدم والمال والعرض ، وحسابه على الله^٧ ، واختبار مجهول الحال ، وإساءة الظن به ، أو التوقف في إسلامه بدعة وتنتع في الدين .

٢ - لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنب يرتكبه^٨ ، إلا من جاء تكفيره بالكتاب والسنة ، وقامت عليه الحجة، وانتفت في حقه عوارض الإكراه ، أو الجهل ، أو التأول .

^١ - المقصود بالجماعة ، أهل السنة ، المتبعين للرسول- صلى الله عليه وسلم -، وأصحابه والتابعين لهم وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة ومن سلك طريقهم إلى يوم الدين ، اعتقاداً وقولاً وعملاً . راجع ص (٩ - ١٥) من هذا البحث .

^٢ - انظر : شرح السنة ، للبغوي ، ص ١٨٩ - ٢٠٩ . والوصية الكبرى ، لابن تيمية ، ص ٧٤ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ص ٤٥٨ ، ولاعتقاد للبيهقي ، ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

^٣ - انظر : شرح الطحاوية ، ص ٣٢٧ - ٣٣٠ . ولمعة الاعتقاد ، ص ٤٢ . والإبانة ، ص ٦٤ . والشرح والإبانة ، ص ٢٧٧ - ٢٨٠ . والاعتقاد ، للبيهقي ، ص ٢٤٢ - ٢٤٦ . والشرح والإبانة ، ص ٢٨١ .

^٤ - انظر : فتح الباري ، ١ / ١٣٧ - ١٤٠ .

^٥ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٣٦ . والعقيدة الواسطية بشرح محمد خليل هراس ، ص ١٨١ . وعقيدة السلف أصحاب الحديث ، ص ٩٢ - ٩٣ .

^٦ - انظر : رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لابن تيمية ، (مطبوع) .

^٧ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٥٨ .

^٨ - انظر : شرح الطحاوية ، ص ٢٥٨ ، ٢٦١ - ٢٦٢ . والإبانة ، للأشعري ، ص ٥٧ . ولمعة الاعتقاد ، ص ٣٩ .

كما لا يجوز الشك في كفر من حكم الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بكفره ، من المشركين واليهود والنصارى وغيرهم .

٣ - لانجزم لأحد بجنةٍ أو نارٍ إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم^١ .

٤ - ومرتكب الكبيرة في الدنيا فاسق وعاص ، وفي الآخرة تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له ، ولا يُخلد في النار، ونرجو للمحسن، ونخاف على المسيء^٢ .

٥ - الصلاة خلف أئمة المسلمين - برهم وفاجرهم - والجهاد معهم ، والصلاة على من مات على الإسلام من أهل القبلة برهم وفاجرهم^٣ .

٦ - وجوب الحب في الله، والبغض في الله، ومن ذلك الولاء للمؤمنين الصالحين ، والبراء من المشركين والكافرين والمنافقين، وكل مسلم له من الولاية بقدر ما لديه من الإيمان والاتباع للرسول- صلى الله عليه وسلم-^٤ ، ومن البراءة بقدر ما فيه من فسق ومعصية .

٧ - كرامات الأولياء حق ، وليس كل كرامة دليلاً على التوفيق والصلاح ، إلا لمن كان على هدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ظاهراً وباطناً . وقد تكون الكرامة ابتلاء ، وليس كل خارق يكون كرامة^٥ . والله أعلم .

١ - انظر : الإبانة ، للأشعري ، ص ٥٨ . ولمعة الاعتقاد ، ص ٣٩ .

٢ - انظر : شرح الطحاوية ، ص ٣١٧ . والإبانة ، للأشعري ، ص ٥٨ ، ولمعة الاعتقاد ، ص ٣٩ .

٣ - انظر : شرح الطحاوية ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ . والإبانة للأشعري ، ص ٦١ - ٦٢ . وعقيدة السلف أصحاب الحديث ، الصابوني ، ص ٩٢ .

٤ - انظر : شرح الطحاوية ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ . وكتاب الإيمان ، للحافظ العدني ، ص ١٢٨ . والشرح والإبانة ، ص ٢٧٤ .

٥ - انظر : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية ، ص ١٥٩ - ١٨٨ . والنبوات ، لابن تيمية ، ص ٧ - ١٠ . وشرح الطحاوية ، ص ٤٤٢ - ٤٤٦ .

(٢) الاعتصام بعقيدة أهل السنة والجماعة أمر متعين

لئن كانت عقيدة أهل السنة والجماعة مستمدة من كتاب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فهذا يعني أنها الأسلم والأعلم والأحكم ، وهذا يعني - أيضاً - أنها بالضرورة هي الأولى بالاتباع ، وأن التزامها متعين ، لأنها الحق ، والحق أحق أن يُتبع ، فهي العروة الوثقى والدين الخالص ، والصراط المستقيم ، وهي وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهي سبيل المؤمنين ، والله تعالى توعد من خالف الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، واتبع غير سبيلهم ، فقال الله تعالى :

{ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [سورة النساء ، الآية : ١١٥] .

وسبيل المؤمنين لاشك أنه سبيل الصحابة والتابعين ، والقرون الفاضلة في الدين ، الذين أثنى الله عليهم ، وأثنى عليهم المعصوم - صلى الله عليه وسلم - وأمرنا باتباعهم . كما أن مخالفة غير سبيل المؤمنين مشاقة لله تعالى ، ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - كما ورد في الآية نفسها .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن التمسك بهذه العقيدة الحق ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، أمر متعين شرعاً ، بأمر من الله تعالى ، وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، قال الله تعالى :

{ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ } [سورة الأعراف ، الآية : ٣] .

وقد بيّن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه سيكون بعده اختلاف وافتراق كثير ، وأن الحق مع المتمسكين بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين ، حيث قال - صلى الله عليه وسلم - في حديث العرباض : " اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضواً عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة " ^١ . ولا ريب أن الذين تمسكوا بسنته - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين ، واجتنبوا البدع هو أهل السنة والجماعة . وقال - صلى الله عليه وسلم : " لقد جئتكم بها بيضاء نقية فلا تختلفوا بعدي " ^٢ .

^١ - أخرجه ابن أبي عاصم في السنة بأسانيد صحيحة ، انظر : ج ١ ، ص ٢٩ الحديث / ٥٤ .
^٢ - أخرجه ابن بطّة في الشرح والإبانة ، ص ٤٠٧ . وله شاهد عند أحمد في المسند ، ٢ / ٣٣٨ ، ٣٧٨ . والبيهقي في شرح السنن ٢ / ٢٧٠ . وحسنه الألباني في تخريج المشكاة ١ / ٦٣ من مشكاة المصابيح .

وقال - صلى الله عليه وسلم : " لقد تركتم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك " ^١ .

والبيضاء هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، وسائر ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الشرع والدين ، حيث لم تتغير ولم تتبدل منذ عهد السلف في القرون الفاضلة حتى اليوم ، بألفاظها وأسانيدها ، كما جاءت في القرآن والسنة ، وكما تلفظ بها أئمة الهدى .

بخلاف معتقدات المتكلمين من المعتزلة ثم الأشاعرة والماتريديّة والكلابية ، ونحوهم ، فإنك تجد الكثير من ألفاظهم ومعتقداتهم لا يطابق في لفظه ومعناه ما جاء عن أئمة السلف في القرون الفاضلة - إلا القليل - ولا تجد - كثيراً مما يعتقدونه مسنداً إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والتابعين ، وبخاصة في مسألة الصفات والقدر ، بل لا تجدهم - في الغالب - متفقين على لفظ ولا معنى في المسائل التي ابتدعوها .
فلتراجع كتبهم ، ففيها البرهان على ذلك ، والله المستعان .

^١ - أخرجه ابن أبي عاصم في السنة من طرق كثيرة ، وصححه الألباني . انظر : السنة ١ / ٢٦ ، ٢٧ ، الأحاديث / ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ . وابن ماجة في المقدمة ، ص ١٦ في الحديثين / ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) حقيقة انتساب الجماعات المعاصرة إلى أهل السنة والجماعة ومستلزماته

إن المتأمل لواقع الدعوات والحركات الإسلامية القائمة اليوم يجد أن غالبها يدعي الانتماء إلى أهل السنة والجماعة .

وهذه الدعوى (ترويجية) قد يدعيها الصادق والكاذب ، ويدعيها من لا يعي معناها وهو الأغلب ، فمثلها كمثل ادعاء الإسلام من قبل سائر الفرق التي نشأت في الإسلام حديثاً وقديماً ، فكما أن الرافضة تدعي الإسلام - والإسلام منها براء - وكذلك الجهمية والخوارج و الباطنية ، وغلاة الصوفية ، وغلاة الفلاسفة ... وكذلك القاديانية ، والبهائية ، والبريلوية ، والبهرة ، و النصيرية ، والإسماعيلية ، وغيرهم كثير ، كل هؤلاء يدعي الإسلام ، وربما بعضهم يدعي أنه وحده الجدير بالإسلام .

فكما توجد هذه الدعوى ؛ كذلك توجد دعوى الانتساب إلى أهل السنة والجماعة من الكثيرين من الدعاة والحركات والدعوات المعاصرة ، مع الفارق في نوع الدعوى . ولا شك أن منها - أعني الدعوات والحركات المعاصرة - ما هو جدير بالانتماء لأهل السنة، ومنها ما هو بعيد منها كل البعد عن أهل السنة ، ومنها من يعني بأهل السنة ، الأشاعرة أو الماتريدية^١ ، ونحوهم من الفرق التي هي أقرب إلى أهل السنة في الجملة ، ومنها من لا يدري ما يعني تماماً ، ومنها من لا يهمله إلى أي عقيدة ينتمي .

هذا وسأذكر - بإيجاز - أهم ما يحضرنى من المستلزمات التي تترتب على الانتماء لأهل السنة والجماعة ، فمن ذلك :

١ - من أهم ما يلزم لمن انتمى إلى أهل السنة - لا سيما إن كان داعية - أن يتعلم عقيدتهم ، وأن يتشبع بها ، ويكون ملماً بأصولها في الجملة، وأن يطلب العلم الشرعي ، ويتفقه في الدين على العلماء والمشايخ ، ليدعو على بصيرة وهدى ، وأن يوجه أتباعه إلى أخذ العلم الشرعي عن المشايخ .

٢ - وبعد ذلك ، لا بد أن يدعو إليها ويبينها للناس وينود عنها ، لأنها الحق .

٣ - كما يتحتم على من انتمى لعقيدة أهل السنة والجماعة وهو داعية ، أن يُظهر أثرها على أفكاره وأهدافه ، وأقواله وكتاباتة ، بل وعلى سلوكه وأعماله ، بحيث يكون ملماً بتفصيلاتها في العموم (في الأصول)^٢ ، كالإيمان ، والتوحيد ، والأسماء ، والصفات ،

^١ - دعوى الأشاعرة والماتريدية ومن انتسب إليهم أنهم هم أهل السنة أو أنهم من أهل السنة فيها شيء من المغالطة واللبس والإيهام ، ولذلك سأعقد لها فصلاً لاحقاً يلي هذا الفصل . فليراجع .

^٢ - أقصد بذلك الدعاة وطلاب العلم والعلماء . أما عامة الناس ، فالسلف يرون أنهم لا يكلفون بمعرفة العقائد على التفصيل وإنما على الإجمال . انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٠ - ١١ . ودرء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، ص ١ / ٥١ .

والقدر، وحقوق الصحابة ، وأن يكون متمسكاً بالسنن والأخلاق الفاضلة ، والهدى النبوي ، وعليه سمة السلف مخبراً ومظهراً .

٤ - ويجب على الداعي أن يقتفي منج أهل السنة في الدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ، وتربية الدعاة والمنتسبين للدعوة على ذلك بكل حزم وقوة .

٥ - ولا بد للمنتسب لأهل السنة أن يوالي دعوتهم ودعاتهم وأئمتهم الماضين و المعاصرين ، وذلك مثل : دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ومن سار على نهجها من جماعات وأفراد ، فهي أظهر الدعوات المعاصرة التي سلكت سبيل أهل السنة والجماعة ، مُعتقداً وسلوكاً في العصر الحاضر ، لذلك تنبغي موالاتها من قِبَل كل من ينتسب لأهل السنة .

(٤) أمثلة لواقع الدعوات المعاصرة حيال عقيدة أهل السنة

وحيث أن هذه المستلزمات تحتاج إلى تطبيق على الواقع لتبيين المراد منها ، فإنني أبين شيئاً من الأمثلة بما عليه كثير من الدعوات والحركات على وجه العموم ، من مخالافات بيعة لعقيدة أهل السنة اعتقاداً ومنهجاً وسلوكاً .

وخوفي من مغبّة التشهير ، ومظنة الشماتة بالآخرين ، يجعلني أعرض شيئاً من الأخطاء ، دون ذكر للأسماء أو العناوين ، انطلاقاً من قاعدة (ما بال أقوام)^١ .
وسأطرح بعض التساؤلات حول واقع الدعوات ومواقفها حيال هذا الأمر العظيم ، فأقول :

* كيف ينتمي لأهل السنة من يؤول صفات الله ، ويقول على الله بغير علم ، ويقع فيما حذر منه السلف من تقديم العقل على كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - في صفات الله والقدر وسائر أمور الغيب؟!
إن بعض الدعوات القائمة ، تقوم على هذا الأساس ، وتدعي أنها هي أهل السنة^٢ .

* ثم كيف ينتسب لأهل السنة من يرى أن الطرق الصوفية المبتدعة منهجاً سليماً للدعوة؟!

* والعجب كل العجب .. أن يدعي الانتساب لأهل السنة من الدعاة من يدافع عن البدع أو يروج لها أو يرضى بها ، أو يرى أن أمرها يسير ، وانها ليست من مسائل الدين المهمة ، مثل بدع الموالد ، والاحتفالات الدينية البدعية ، وأين هذا من عقيدة السلف ، لأن من الدعاة من يعمل هذه البدع ، ومنهم من يستهين بأمرها ويهون من خطرها .

* والأدهى من ذلك أن يوجد من الدعاة الكبار الذي ينتمون إلى حركات إسلامية مشهورة من يتمسح بالقبور والأولياء من الأموات والأحياء ، ويطلب منهم كشف الضرّ ، وجلب النفع ، ويلجأ إليهم في السراء والضراء ! .

* وكيف يدعي رفع شعار أهل السنة من يتصدّر للدعوة وهو لا يعرف عقيدة السلف ، وربما سئل أحدهم عن بدهيات العقيدة فلا يجيب ، وإن أجاب خلط ! .

^١ - كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا عاب شيئاً من بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يسميهم بأسمائهم ، ولا يشهر بهم ، بل يقول : " ما بال أقوام " ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ... " الحديث

^٢ - يتجه ذلك إلى الأشاعرة ، أكثر من غيرهم لانتشار مذهبهم في أغلب بلاد المسلمين .

* وهل يكون من أهل السنة من لم يكف لسانه ولا قلمه عن التعرض بالنقيصة واللمز أو السباب لبعض الصحابة ، والتابعين وأئمة الهدى المعتبرين وسلف الأمة الماضيين ، خاصة علماء السنة والحديث؟! .

* وهناك - مع كل أسف - من كبار الدعاة أو ممن يزعمون أنهم دعاة من يُؤخر الصلاة الفريضة عن وقتها دون ضرورة ، أو لا يهتم بصلاة الجماعة ، ومن يستحل أكل الربا ، ومن يستحل سماع الأغاني والموسيقى ، أو يقتني الصور المجسّمة ، أو يدخن ، ومنهم من يخلق لحيته (دون ضرورة)^١ . أو يتشبه بالكفار في لباسه ومظهره وسائر تصرفاته المعاشية ، ومنهم من لا يهتم بالحجاب الشرعي للنساء ، أو يقرّ الاختلاط المحرم ويرضى به.. إلخ من الأمور التي تخل بالدين، أو تجرح العدالة ، أو تنافي الفضيلة ، ولا تُقبل ممن يتصدر الدعوة ويكون قدوة .

* وهل يجوز أن ينتسب لأهل السنة من لا يجعل من أهدافه وأهداف دعوته تعلم وتعليم عقيدة أهل السنة ، ورفع لوائها، والدعوة إليها ، والدفاع عنها؟! لأنها هي النهج السليم والصحيح للإسلام .

* بل كيف يكون من أهل السنة من يجعل من أهدافه تحاشي التظاهر باعتقاد أصول أهل السنة ، وتحاشي الرد على الفرق المخالفة ، وبدع المبتدعين بدعوى تفادي إثارة الخلافات بين المسلمين .

* ومن الدعاة من يسعى إلى جمع المسلمين على غير كلمة سواء ، إنما على ما افترقوا به من اختلاف المعتقدات والضلالات والبدع ، كحاطب ليل ! ولا شك أن جمع كلمة المسلمين هدف عظيم ، بل هو من أعظم أصول الدين ، ولا ينكره إلا ضال أو جاهل ، لكن جمع المسلمين يجب أن يكون على الحق ، وعلى الكتاب والسنة ، والاعتصام بالله ، لا على مجرد الشعارات الإسلامية الفارغة من الاعتقاد الحق .

* ومنهم من يستهين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناصحة ولاة الأمور ، ويزعم أن هذا من القشور والتوافه ، وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة وأصولهم ، كما أسلفت .

^١ - قلت : " دون ضرورة " لعلمي أن بعض المسلمين في بعض البلدان الإسلامية ربما يُعذّبون ، ويُؤذون ، وتنتهك حقوقهم بسبب إعفاء اللحية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وأخيراً ...

فإن هذه الأمور التي أشرت إلي شيئاً منها ليست في واقع الدعوة اليوم مجرد ظواهر أو تصرفات فردية ، بل هي سمات ومواقف ومناهج وأهداف ، وسلوك عام لدى بعض الجماعات والدعوات والدعاة .

وأشعر أن واجب النصح يتطلب مني أن أفصّل في الأمر أكثر من ذلك ، وأن أبرهن على ما أدعيه ، لكن هذا لم يتأت لي في هذه العجالة ، ولكنني عازم - بإذن الله - على أن أفعل - إن تمكنت - ، كما إنني متيقن أن هناك من هو أقدر مني وأجدر مني بذلك ، لكنني أشعر أن هذا لا يمنع أن أسهم بما أستطيعه وما يسعني . والله الموفق .

(٥) بين أهل السنة والأشاعرة

هناك لبس كبير يقع فيه بعض الناس قديماً وحديثاً ، ذلكم هو دعوى الأشاعرة بأنهم أهل السنة ، ووصفهم بذلك من غيرهم - أحياناً - وهذه دعوى عريضة فيها الكثير من الإيهام والخلط ، وبيان هذا - على سبيل التفصيل - يحتاج إلى بحث طويل ، لكنني سأحاول بيان ما أعرفه حيال ذلك بإيجاز بالغ على النحو التالي :

أولاً : أن أهل السنة والجماعة : سُموا بذلك لأنهم هم الذين على سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهم الجماعة الذين ذكرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -^١ .
وعليه ، **فأهل السنة :** الصحابة والتابعون ومن تبعهم واقتنى أثرهم إلى يوم الدين ، ولم يبتدع ولم يغيّر . ومن غيّر أو بدل أو أحدث في الدين ما ليس منه وما لم يكونوا عليه في الاعتقاد والسنة فليس منهم فيما غيّر أو بدل .

ثانياً : أما الأشاعرة : فإنهم فرقة كلامية طارئة ، نشأت بعد القرون الفاضلة^٢ ، فهي تنتسب إلى الإمام أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤ هـ) رحمه الله - وكان معتزلياً ، ثم تحول عن المعتزلة عام (٣٠٠ هـ) تقريباً ، وصار يرد عليهم بأساليبهم الكلامية من جانب ، وبنصوص الكتاب والسنة من جانب آخر ، وبهذا وقف للمعتزلة وتصدى لهم^٣ ، هو ومن نهج منهجه حتى أفحمهم ، وهذا عمل جليل يُحمد عليه .

* وفي هذا الجو نشأ مذهب عقدي تليفقي مخضرم ، لا هو سنّي خالص ، ولا كلامي عقلاني خالص ، حتى هدأت العاصفة وانجلى غبار المعركة ضد المعتزلة ، وقد أبلى فيها الإمام أبو الحسن الأشعري بلاءً حسناً ، وخرج منتصراً على المعتزلة والجهمية ، ومن سلك سبيلهم^٤ . وهنا استبصر الأشعري الحق وعرف أنه إنما انتصر بتعويله على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ونصره للسنة وأهلها ، ووقفه مع أئمة السلف الآخرين .

ثم تراجع عن مقولاته في الصفات وغيرها التي سلك فيها مسلك التأويل والتعويل على

^١ - انظر : راجع ما جاء في المبحث الأول .

^٢ - أي في نهاية القرن الثالث الهجري ، وذلك بعد أن تخلى الإمام أبو الحسن الأشعري عن الاعتزال سنة (٣٠٠) هـ .

انظر : مقدمة الإبانة ، للشيخ حماد الأنصاري ، ص ٨ .

^٣ - انظر : كذب المفتري ، لآين عساكر ، ص ٣٨ - ٤٥ .

^٤ - انظر : المصدرين السابقين .

العقل ، والكلام في أمور الغيب والصفات والقدر فقرر أن يلحق بركب أهل السنة والجماعة ، فأبان عن ذلك في كتابه " الإبانة " ^١ ، ووفقه الله للتخلص من التلويح العقديّ فقال :

" ... **وقولنا الذي نقول به** ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل ، وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، بما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ... " ^٢ .

لكن مذهبه الثاني : النقلة من الاعتزال إلى طريقة ابن كلاب الكلامية بقي مذهباً يُحتذى إلى اليوم ، لأنه يشبع رغبات الفلاسفة والمتكلمين وأهل التأويل . فالأشاعرة تنتسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري قبل عودته إلى أهل السنة . وبعد فراره من الاعتزال ، وبالرغم من أنه تخلى عن هذا المذهب ، وكتب خلافه في " الإبانة " والمقالات ، إلا أن الأشاعرة لا يزالون يُحمّلونه تبعته . هذا عن نشأ مذهبهم ، فالأشاعرة مذهب طارئ ملفق بين أهل السنة وأهل الكلام ، لذلك صاروا أقرب الفرق الكلامية إلى أهل السنة .

ومن جانب آخر فالأشعرية مرت بأطوار تاريخية ، في كل طور تزداد الشقة بينهم وبين أهل السنة ، لا سيما ما أدخل فيها زعماءهم اللاحقون تلك الأسس والمعتقدات الدخيلة من الفلسفة ، والتصوف ، والمنطق ، والكلام ، والجدل ، حتى صارت عقيدة الأشاعرة مزيجاً من تلك الأخطا .

ومن أبرز أولئك : الباقلاني ، المتوفى سنة (٤٠٣ هـ) ، والقشيري ، المتوفى سنة (٤٦٥ هـ) ، وأبو المعالي الجويني ، المتوفى سنة (٤٧٨ هـ) ، وابن العربي ، المتوفى سنة (٥٤٣ هـ) ، والغزالي ، المتوفى سنة (٥٠٥ هـ) ، والفخر ، الرازي ، المتوفى سنة (٦٠٦ هـ) ، والآمدي ، المتوفى سنة (٦٨٢ هـ) ، ونحوهم ، غفر الله لنا ولهم ^٣ .

فأصبحت الأشاعرة اليوم مزيجاً من المشارب والمعتقدات بين أهل السنة والفلسفة والتصوف وعلم الكلام ، لذلك نجدهم أكثر من ينتسبون للسنة وقعاً في المخالفات العقيدة والعبادية (أي بدع العقائد والعبادات) وهذا بخلاف أهل السنة في كل زمان . كما نجد أن كثيراً من الأشاعرة (حالياً) منضوون تحت الطرق الصوفية البدعية ، وتكثر فيهم بدع القبور والتبرك البدعي بالأشخاص والأشياء ، وبدع العبادات والأذكار والموالد ونحوها ، وهذه البدع هي التي تميّزهم - حالياً - عن أهل السنة بوضوح .

^١ - في هذا الكتاب قرر الأشعري - رحمه الله - مذهب أهل السنة في سائر أصول الاعتقاد . فليراجع (مطبوع) .

^٢ - راجع : " الإبانة عن أصول الديانة " ، ص ٥٢ .

^٣ - من توفيق الله لهؤلاء الأئمة الاجلاء - رحمهم الله - أن غالبهم تراجعوا عن مقولاتهم في التأويل أو بعضها فيما خالفوا فيه أهل السنة . انظر : المبحث الثاني (خصائص العقيدة الإسلامية) من هذا البحث .

فمن خلال الواقع اليوم ، يندر أن ترى أحداً من الأشاعرة إلا ولديه شئ من البدع ، أو الميل لذلك ، أو التساهل وعدم الاكتراث بهذه المسألة الخطيرة ، بينما العكس فيمن ينتسبون - حقاً - لأهل السنة ، فإنه يندر أن تجد فيهم من يتعلق بشئ من البدع ، إلا عن جهل ، وهذا قليل جداً بحمد الله .

لذا يطلق الأشاعرة المعاصرون - تبعاً للرافضة وسائر الطوائف غير السنة - على أهل السنة في سائر بلاد المسلمين اليوم (وهابية) ، نسبة إلى الداعي المصلح محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - ، كما أنهم قديماً كانوا يطلقون على أهل السنة (الحنابلة) نسبة لإمام السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله - وما علموا أن نبذهم باسم هذين الإمامين - أحمد بن حنبل ومحمد بن عبدالوهاب- تزكية لهم وهو شرف وشهادة لهم بأنهم مقتدون بأئمة الهدى .

وبالجملة : فالأشاعرة يوافقون أهل السنة في أمور من العقيدة ، ويخالفونهم في أمور أخرى ، فهم فيما يوافقون أهل السنة فيه يجوز أن نطلق عليهم في هذا الأمر أهل سنة ، من حيث اتباعهم للسنة في ذلك الأمر ، لكنهم في الجملة حيث خالفوا أهل السنة في أصول أخرى ليست قليلة ؛ ليسوا هم أهل السنة عند الإطلاق والعموم ، وهذا الأمر قد يلتبس على كثير من الناس اليوم لقلّة اطلاعهم على كلام أهل العلم في ذلك .

(٦) من أهم المسائل التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة

كأني بالقارئ يطالبني بالإشارة إلى ما خالف فيه الأشاعرة أهل السنة ، من أصول ومعتقدات ، فأقول - بإيجاز - وبالله التوفيق :

١ - من أخطر ما خالف به الأشاعرة أهل السنة خوضهم في صفات الله - عز وجل - بالتأويل الذي نهى عنه السلف ، خاصة الصفات الخبرية التي وصف الله بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - مثل صفات : اليد ، والعين ، والنفس ، والبغض^١ ، ونحوها من الصفات الخبرية التي ذكرها الله - تعالى - في كتابه ، أو صحت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهم لم يؤمنوا بها كما جاءت ، وكما فعل السلف ، فقد أولوها وصرفوا ألفاظها إلى غير ظاهرها ، هروباً من شبهة التجسيم والتمثيل، وغفلوا عما يترتب على فعلهم هذا من تحريفهم لكلام الله ، وتعطيل لمعانيه ، والقول على الله بغير علم ، وغير ذلك من المستلزمات التي يقتضيها التأويل وتنافي التسليم لله - تعالى - ، إذ كيف يليق أن يقول الله عن نفسه ، ويقول عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم - بصفات لا تليق ، أو تقتضي التشبيه والتجسيم ، ثم لا يكتشف هذه المسألة إلا المتكلمون بعد القرن الثالث الهجري؟!!

ثم كيف فات هذا الفهم على الصحابة والتابعين وسلف الأمة ثم يدركه المتكلمون؟! هذا مما لا يليق تجاه كلام الله - تعالى - وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - و الصحابة والتابعين ، وأئمة الهدى الأوائل ممن هم أعلم منهم وأتقى لله . فإن الله سبحانه حين وصف نفسه بتلك الصفات: كاليد ، والوجه ، والنفس ، والرضا ، والغضب ، والمجئ ، والاستواء ، والعلو ... إلخ من الصفات ، فقد سد باب شبهة التمثيل بقوله سبحانه :

{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [سورة الشورى : الآية ١١] .

فهل الذين أولوا تلك الصفات أعلم بالله من الله؟! . وهل هم أشد تنزيهاً لله من رسوله - صلى الله عليه وسلم -؟! . وهل هم أعلم بمراد الله من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسلف الأمة من التابعين وتابعيهم وأئمة الهدى والسنة في القرون الفاضلة؟! الذين أمرُوا هذه الصفات ، وغيرها من أمور الغيب كما جاءت عن الله وعن رسول الله لفظاً ومعنى على مراد الله ورسوله ، من غير تشبيه ولا تعطيل ، ولا تأويل .

وقد ابتلى المتكلمون - ومنهم الأشاعرة - بسبب التأويل في صفات الله ، وبعض مسائل

١ - انظر مثلاً : أساس التقديس ، للفخر الرازي ، ص ١١١ - ١٩١ . والإرشاد للجويني ص ١٤٦ - ١٥٤ .

العقيدة ، بأن أدخلوا في عقائدهم من المصطلحات والألفاظ والظنيات العقلية ما لا يليق القول به في حق الباري - سبحانه - لا نفيًا ولا إثباتًا .
وأقل ما يقال فيه إنه كلام مبتدع لم يرد عن الله ولا عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - فالكف عنه أسلم ، والخوض فيه قول على الله بلا علم ، مثل : الحدود ، والغايات ، والجهات ، والماهية ، والحركة ، والحيز ، والعرض ، والجوهر ، والحدوث ، والقدم .
ودعوى قطعية العقل ، وظنية النقل ... ومثل كلامهم في : التركيب والتبعيض ، وقولهم عن الباري - سبحانه - لا داخل العالم ولا خارجه ^١ ... إلخ ، ومما ابتدعوه من الكلام عن الله - تعالى - نفيًا أو إثباتًا . وذلك انسياقًا مع التزامات المعتزلة والجهمية والفلاسفة العقلية الجدلية .

وكلامهم في هذه الأمور قد يشتمل على بعض الحق أحياناً ، لكن الله - تعالى - نهانا عنه ، وأقل ما يُقال فيه أنه قول على الله بغير علم ، والله - تعالى - يقول :
{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } [سورة الإسراء ، الآية : ٣٦] .
ويقول : **{ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ }** [سورة الأعراف ، الآية : ١٨٠] .

فأهل السنة لا يتكلمون في هذه الأمور - على سبيل التأصيل و الإقرار والتقرير - إلا من باب الرد وإلزام الحجة وبقدر الحاجة ، فمخالفة الأشاعرة لأهل السنة في هذا الباب (الصفات) ليست فرعية ، إذ هي متعلقة بأصل من أعظم أصول الدين ، وهو توحيد الصفات المتعلقة بالباري - سبحانه جل شأنه .
ومع ذلك يبقى الأشاعرة هم أقرب الفرق الكلامية إلى أهل السنة ، لأن مقصدهم بالتأويل التنزيه ، لكن على غير هدى ولا اقتداء ، بل وقعوا فيما حذر منه أهل السنة من تحريم التأويل والجدل ، وضرب الأمثال لله - تعالى - ، ونحو ذلك مما ينافي وجوب التسليم بالنصوص الشرعية ^٢ .

٢ - ومن الأصول التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة ، تعويلهم على العقل والجدل وعلم الكلام (النظر) في صفات الله ، ومسائل القدر والغيب ، وتقديمهم العقل - ما يسمونه القواطع العقلية - على النقل (الكتاب والسنة) ، في أمور الغيب ومسائل الاعتقاد ، بل في مسائل صفات الله - تعالى - .
فالقاعدة عندهم - كما قررها الرازي والجويني وغيرهما - (أن الدلائل النقلية لا تفيد اليقين) ^٣ .

^١ - انظر : الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي ، ص ١٢ - ١٣٥ .
^٢ - ورد عن أكابر الأئمة مثل : الإمام أحمد ، وابن المديني ، والأوزاعي ، والبخاري ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، وغيرهم كثير ، فقد حذروا من الجدل والتأويل وعلم الكلام . انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم اللالكاني ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، ج ١ - ص ١٥١ - ١٨٦ .
^٣ - راجع : كتاب " أصول الدين " لفخر الدين الرازي - ص ٢٤ . وكتاب " الإرشاد " للجويني ، ص ٢٥ - ٣٧ .

و) أن الدلائل النقلية ظنية، وأن العقلية قطعية، والظن لا يُعارض القطع (١ - سبحة الله - !!

٣ - ومن أصولهم المخالفة لأهل السنة : تفسيرهم التوحيد بما يحصره في توحيد الربوبية ، وغفلتهم عن توحيد الألوهية والعبادة لله - تعالى - وحده ، مع أنه التوحيد الذي أرسلت به الرسل ، قال الله - تعالى - { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [سورة الأنبياء : الآية : ٢٥] .

وهو التوحيد الذي من أجله خلق الله الخلق ، قال - تعالى - { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [سورة الذاريات ، الآية : ٥٦] .

لذلك نجد التلبس بالبدع في العبادات ، والوقوع في بعض الشركيات كثيرة فيمن ينتسبون إلى الأشاعرة المتأخرين ، لتساهلهم في توحيد العبادة .

وهذا لا يعني أن أهل السنة يستهينون بأمر توحيد الربوبية ... كلا والله ! ، لكنهم يبدأون بما بدأ الله به ، وما بدأ به رسوله - صلى الله عليه وسلم - لأن توحيد الربوبية فطري ، لا يكاد ينكر بالكلية إلا نادراً ، وغالب الآيات التي جاءت في تقريره جاءت في سياق الإلزام بتوحيد العبادة والطاعة ، لذلك لا يعرف أن أمة من الأمم أنكرت توحيد الربوبية ، بل لا توجد طائفة أجمعت على هذا الأمر على الحقيقة ، ولو حصل هذا لذكره الله - تعالى - في قصص الأنبياء .

وبعكسه توحيد الألوهية ، فهو الذي ضلت فيه الأمم والفرق والطوائف حتى اليوم . لذا نجد أن نظار الأشاعرة وأئمتهم يبدأون مؤلفاتهم في الاعتقاد بالعقليات والنظريات ، والتصديقات والتصورات ، والمصطلحات الكلامية والفلسفية ، وأن الدلائل النقلية (السمعية) لا تفيد اليقين ، وأن العقليات قطعية يقينية ، ثم حدوث العالم وإثبات الصانع و غير ذلك من الفلسفة وعلم الكلام ، وينتهون في ذلك إلى تقرير توحيد الربوبية^٢ ، وهذا خلاف ما درج عليه أهل السنة ، بل خلاف منهج القرآن الكريم ، فالآيات التي جاءت لتقرير توحيد الربوبية قليلة بإزاء الآيات التي جاءت لتقرير توحيد العبادة والطاعة ، ثم إن كثيراً من الآيات في توحيد الربوبية جاءت لتقرير عبادة الله وحده كما أسلفت .

٤ - كما أنهم خالفوا أهل السنة في أصول أخرى ، مثل : قولهم في القرآن وكلام الله^٣ ،

١ - أصول الدين ، للرازي ص ٢٤ .

٢ - انظر على سبيل المثال : أول كتاب التمهيد ، للبقلائي . وأول كتاب الإنصاف للبقلائي - أيضاً . وأصول الدين للفخر الرازي - أوله . وأول كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي . وأول أصول الدين ، للبيضاوي . وأول الإرشاد للجويني . وأول كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للبيهقي ، وغيرها من الكتب المعتمدة لدى الأشاعرة ، فإنها تبدأ بالنظر والعقليات وعلم الكلام ، وتقرير القواعد العقلية والفلسفية ، ولا تكاد تذكر توحيد العبادة والقصد إلا نادراً ، مع حاجة الأمة إليه قديماً وحديثاً .

٣ - انظر : الإنصاف - للبقلائي ، ص ٦٢ - ١٢٦ . وأصول الدين ، للرازي ، ص ٦٣ - ٦٧ . وكتاب الأربعين في أصول الدين ، للغزالي ، ص ٢٧ - ٢٨ .

والإيمان^١ ، والقدر^٢ ، والنبوات^٣ ، حيث تأثروا بالأصول الكلامية والفلسفية في نظرتهم لهذه الأمور ، فجاءت عقيدتهم فيها خليطاً من الحق والباطل بين أهل السنة والمعتزلة والفلاسفة ، لذا تجدهم كثيراً ما يستخدمون مصطلحات فلسفية وكلامية محتملة للحق والصواب ضدها ، وتختلف عن ألفاظ الكتاب والسنة .

وهكذا ... فإن هذه الأمور التي خالف الأشاعرة فيها أهل السنة ، وهي من أصول الاعتقاد وفروعه تقتضي من الباحث المنصف - عند التدقيق والتحقيق - أن يحكم كما هو رأي المحققين من أئمة السنة^٤ - بأن مذهب الأشاعرة في العقيدة ، مذهب مستقل في بعض الجوانب عن أهل السنة بأصوله ومناهجه ، وتصوراته واحكامه ، بخاصة في مسائل الصفات والإيمان والوحي والنبوات والقرآن وكلام الله ، والقدر . فالأشاعرة في هذه المسائل وغيرها يوافقون أهل السنة في أمور ، ويخالفونهم في أخرى .

كما أنه لا يجوز أن نحمل السلف - أهل السنة والجماعة - مقولات الأشاعرة فيما ابتدعوه من علم الكلام والفلسفة ، وإنه من الإجحاف والتجني أن ننسب تلك المقولات للصحابة والتابعين وأئمة الهدى في القرون الفاضلة ، وهذه المقولات هي الغالبة في معتقدات في معتقدات الأشاعرة - كما أشرت في الفصل السابق .

أما أهل السنة ، فهم الذين لم يحدوا ولم يزيدوا على مذهب السلف حتى اليوم ، فالذي ينتمي وينتسب لأهل السنة يلزمه أن يعتقد ما اعتقدوه في هذه الأصول ، وأن يتبع ما قالوه أو قرروه ، لا أن يقول ويعتقد حسب قواعده العقلية الكلامية والفلسفية ، ثم ينسب قوله وعقيدته إلى السلف ، كما فعل كثير من نظار الأشاعرة .

وإذا عرضنا الكثير من معتقدات الأشاعرة على ما أثر ونقل عن السلف في القرون الفاضلة وجدنا البون بينهما شاسعاً، ووجدنا أنهم- أي الأشاعرة - ابتدعوا وأحدثوا من المقولات ما كان ينهي عنه السلف من الكلام في الصفات والغيبيات بالظنون والمبتدعات الكلامية ، وقد عرضت شواهد ذلك^٥ .

ومن الحق والإنصاف أن نقول :

إن الأشاعرة - في العموم - هم أقرب الفرق الكلامية إلى أهل السنة ، وأن منهم من هو إلى السنة أقرب من سائرهم ، وأن من الأشاعرة وممن انتسب إليهم : أئمة في الحديث ، وعلماء أجلاء في التفسير ، والفقه والعربية وغيرها ، ممن لهم قدرهم وفضلهم في العلم والدين ، بل إنه من الملاحظ أن من أئمة الحديث ممن انتسب أو نسب إلى الأشاعرة :

١ - انظر : كتاب الإيمان لابن تيمية ، ص ١٠٠ - ١٥٥ . والإنصاف ، للبقلائي ، ص ٥٥ . والاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي ، ص ٨٩ - ٩٠ . والتمهيد ، للبقلائي ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

٢ - انظر : الإنصاف ، للبقلائي ، ص ٣٩ - ٤٤ . وكتاب الأربعين في أصول الدين ، للغزالي ، ص ١٦ - ٢٧ .

٣ - انظر : النبوات ، لابن تيمية ، ص ١٠٠ - ١٠٢ . وأصول الدين ، للرازي ، ص ٩١ - ١٠٥ . والاقتصاد في الاعتقاد ، للغزالي ، ص ١٦٥ - ١٧٩ .

٤ - من أكثر من جلى هذه المسألة وأصلها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ، فلترجع مؤلفاته ، ومنهم على سبيل المثال : العقيدة التدمرية ، والفتوى الحموية الكبرى ، والعقيدة الواسطية . انظر : المجلد الرابع من مجموع الفتاوى ، ص ١ - ١٩٠ .

٥ - انظر : ما سبق من هذا البحث .

تجدهم من أهل السنة في جملة الاعتقاد ، وتحتاج نسبتهم إلى الأشاعرة إلى شيء من التثبت والتحقيق ، من أمثال :

القاضي عياض ، وابن عساكر ، والنووي ، وابن حجر العسقلاني .
ونحوهم من أئمة السنة والحديث ، إذ هم إلى أهل الحديث أقرب منهم إلى المتكلمين .
فالعالم من الأشاعرة كلما زاد علمه في السنة والحديث والأثر وجدناه في الاعتقاد إلى أهل السنة أقرب - في الغالب - .

وأمر آخر تجدر الإشارة إليه هنا ، وفيه البرهان الأقوى على أن الأشاعرة جانبوا أهل السنة في بعض مسائل الاعتقاد الكبرى ، وعلى أنهم عند التحقيق والتروّي والتجرد يرجعون عن مقولاتهم إلى عقيدة أهل السنة ، وهذا البرهان : هو رجوع كثير من أئمتهم ونظارهم الكبار إلى عقيدة السلف ، والتسليم بها في آخر الأمر ، أو آخر العمر ، كما حصل من الإمام أبي الحسن الأشعري نفسه ، حينما استقر على عقيدة السلف في (الإبانة)^١ ، وكما حصل من أبي المعالي الجويني ، وأبي محمد الجويني ، والرازي ، والشهرستاني ، والغزالي ، وابن العربي ، وغيرهم^٢ . فمنهم من رجع إلى قول أهل السنة، وترك علم الكلام ، وبين ذلك من خلال كتابة ما استقر عليه اعتقاده ، ومنهم من أعلن تسليمه لعقيدة أهل السنة على الإطلاق قبيل الوفاة ، ولم يتمكن من الكتابة^٣ .

وأختم قولي في هذا الفصل :

أنه ظهر لي أن أشاعرة اليوم (المعاصرين) بعدوا عن أهل السنة أكثر من أسلافهم لقلّة فقهم بعقيدة السلف ، ولما تلبسوا به من الفلسفة وعلم الكلام والبدع والخرافات ، والانضواء - من الكثير منهم - تحت الطرق الصوفية ونحوها^٤ . هداهم الله ، وبصّرنا وإياهم بالحق والصراط المستقيم .

كما تجدر الإشارة إلى أن ما ذكرته من مفارقة الأشاعرة لأهل السنة في بعض أصول الاعتقاد لا يعني أنني أرى تكفيرهم ولا تضليلهم ، بل لم أعرض لهذا الأمر ، وأرى أنه جد خطير ، ويحتاج إلى تفصيل ليس هذا مقامه .

١ - انظر : كتابه " الإبانة عن أصول الديانة " .

٢ - انظر : (خصائص العقيدة الإسلامية) من هذا البحث .

٣ - انظر : شرح الطحاوية ، ص ١٥٠ - ١٥٣ .

٤ - وهذا بخلاف ما كان عليه الأشاعرة القدامى ، فإنهم كانوا إلى السنة أقرب ، ولم تتأصل فيهم الصوفية ، والفلسفية والجدل ، وكانوا أهل سنة في أعمالهم وعباداتهم . أما المتأخرون من الأشاعرة المعاصرين فأغلبهم من أنصار الطرق ، وأصحاب بدع في الاعتقادات والعبادات . وهذا منشؤه التساهل في أمر توحيد العبادة في أصول الأشاعرة - كما بينت - فيما سبق في هذا المبحث .

(٧) أين أهل السنة ؟

عرضت في فصول سابقة إلى التعريف بأهل السنة ، وسمات عقيدتهم ، وخصائصها ، وذكرت أن الأشاعرة - ومذهبهم منتشر في غالب البلاد الإسلامية - ليسوا هم أهل السنة عند الإطلاق ، بعد ذلك يحق للمرء أن يتساءل :

أين أهل السنة ؟ وكيف نعرفهم بين المسلمين اليوم ؟

فأقول بإيجاز ، وحسب ما يظهر لي :

إن أهل السنة قد وصفهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وعينهم تعييناً يجعلهم كالشمس لمن وفقه الله وسلم من الهوى والعصبية والتقليد الأعمى ، فمن صفاتهم الماثورة :

١- أنهم الذين على هدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مظهراً ومخبراً ، عقيدة وسلوكاً وعبادة ، وهدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينته السنة أوضح بيان .
فهم - أي أهل السنة - أعلام بارزون ظاهرون جيلاً بعد جيل منذ عصر الصحابة إلى يومنا ، معروفون بالاتباع والافتداء والاهتداء .

٢- وأنهم المتمسكون بعقيدة السلف ، الصحابة والتابعون ، وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة ، وعقيدة السلف ماثورة معروفة مسطرة - بحمد الله - من خلال ما صنفه أئمة الهدى كالإمام أحمد ، والبخاري ، وابن أبي عاصم ، والدارمي ، وعبدالله بن أحمد ، وابن خزيمة ، وابن بطة ، وابن منده ، والخلال ، والأشعري^١ بعد إبانته ، وإسماعيل الصابوني ، والطحاوي ، وابن تيمية ، وغيرهم كثيرون جداً ، يعرفهم أهل العلم وكل من أراد التعرف عليهم .

٣ - سلامتهم من التلبس بالبدع والشركيات والطرق ، فأهل السنة أيّاً كانوا لا تراهم يتمسحون بالقبور والأحجار والآثار والصخور ، ولا يدعون غير الله ، ولا يستغيثون بالأموات ، ولا يقيمون المشاهد والقباب على القبور ، ولا يقيمون الموالد والاحتفالات البدعية ، وقل أن تجد منهم من ينضوي تحت الطرق الصوفية ، إلا عن جهل وغفلة أو تقليد على غير بصيرة كبعض العوام .

٤ - تمسكهم بشعائر الدين ، الظاهرة والباطنة ، كما أمر الله وبيّن رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فهم يقيمون الفرائض والسنن ، ويأمرون بها ، ويتركون الآثام والمنكرات والمحرمات والبدع ، وينهون عنها .

^١ - أعلن الإمام أبو الحسن الأشعري التزامه لعقيدة السلف في كتابه " الإبانة " ، فليراجع .

٥ - أنهم ظاهرون في مجتمعاتهم بالصدع بالحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ومحاربة البدع ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهذه الصفة قد تختلف من بلد إلى آخر ، فإن من بلاد المسلمين ما لا يستطيع المسلمون فيه إظهار شعائرهم ، ولا إعلان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي العموم : فأهل السنة - والله أعلم - لا يحصرهم مكان ولا زمان ، فهم - بحمد الله - يوجدون في أكثر من مكان وأكثر من بلد ، يقولون في بلد ، ويكثرون في آخر ، فهم في أرض الله الواسعة منتشرون بحسب حالهم .

ولو تأملت حال المسلمين اليوم، لوجدت أهل السنة منهم متميزين في كل بحسب حاله ، كثرة أو قلة ، قوة أو ضعفاً ، فقد تجدهم في مصر والسودان أكثر ما يكونون بين أنصار السنة المحمدية ، وفي غيرهم قليل ، وفي الشام في أهل الحديث والأثر أكثر من غيرهم ، وفي الهند والباكستان وأفغانستان يكثرون في أهل الحديث والجماعات والجمعيات السلفية أكثر من غيرها^١ .

وقد أشرت من قبل أن من أبرز سمات أهل السنة في البلاد الني لا تكثر فيها البدع والطرق الصوفية وصفهم بـ (الوهابية) نسبة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أو بـ (الحنابلة) نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل .

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي المثال الحي الواضح لأهل السنة والجماعة معتقداً وسلوكاً ، وقد تحقق بها قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة " ^٢ ، فهي حتى الآن ظاهرة بحمد الله .

هذا مع العلم أن عامة المسلمين الذين يقيمون شعائر الدين وهم سالمون من الشركيات ، إنما هم على الفطرة ، ويدخلون في سواد الأمة وأهل السنة في أي بلد ومكان كانوا .
.. وأهل السنة (والله أعلم) في آخر الزمان ليسوا أكثرية ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصفهم بأنهم طائفة ، وأنهم الغرباء ، وأنهم عصابة ، وأنهم فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة^٣ .

وهذا يسقط دعوى بعض الأشاعرة والماتريديّة المعاصرين ، بأنهم أهل السنة ، لأنهم الأكثرون في بلاد المسلمين ، فالأكثرية ليست دليلاً كافياً على الصواب ، إنما العبرة باتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والتمسك بكتاب الله ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم ، واتباع هدي الصحابة والتابعين وأئمة الهدى الأعلام في العصور

^١ - هذا على سبيل التمثيل لا الحصر ولا التحقيق ، لأن التحقيق من هذه الأحكام يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحقيق الدقيق ، لكنني ضربت بذلك مثلاً فحسب .

^٢ - هذا الحديث مستفيض عن جمع من الصحابة أخرجاه في الصحيحين وغيرهما لألفاظ كثيرة .

انظر : صحيح البخاري - فتح الباري - : كتاب المناقب ، باب ٢٧ (٦ - ٦٣٢) . وكتاب الاعتصام ، باب ١٠ (١٣ - ٢٩٣) . وكتاب التوحيد ، باب ٢٩ (١٣ - ٤٤٢) . وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب ٥٣ ، الأحاديث / ١٩٢٠ - ١٩٢٤ (٣ / ١٥٢٣) .

^٣ - انظر الحديث السابق .

الثلاثة الفاضلة ، والذين اتبعوهم واقتفوا آثارهم ، ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى يوم الدين
مهما قلوا .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الأكثرية من المسلمين اليوم هم من العامة الذين
يغلب عليهم الجهل ، وعدم الإمام بتفصيلات العقائد ، وهؤلاء جمهورهم على الفطرة ،
والأصل فيهم البراءة وسلامة الاعتقاد ، ومن كان هذا وصفه فهو داخل في سواد
المسلمين أهل السنة ، ما لم تجتلمهم شياطين البدع والخرافات ، وشياطين الفرق والطرق
والأهواء ودعاة الضلالة . والله أعلم

المبحث الرابع

في بعض النتائج والخواطر حول الموضوع

ويشتمل :

- ١- الآثار الناجمة عن ضعف التمسك بهدي السلف .
- ٢- خواطر ووقفات حول العقيدة والدعوة .

الآثار الناجمة عن ضعف تمسك بعض الحركات بهدي السلف

من نتائج تساهل بعض الحركات الإسلامية في أمر العقيدة ، أو مجانبتها لعقيدة أهل السنة والجماعة ، أنها وقعت في كثير من التجاوزات والأخطاء .
وأقصد بها تلك الأخطاء العامة والشائعة بين الدعوات والدعاة - على سبيل الإجمال والعموم - أذكر منها :

١ - من أعظم وأخطر الأخطاء التي تقع فيها الكثير من الدعوات والدعاة : إهمال جانب التوحيد ، أو ضعف الاهتمام به ، علماً واعتقاداً وعملاً ، وبخاصة توحيد الألوهية والعبادة .

وهذا الجانب من التوحيد له من الأهمية في الكتاب والسنة وأصول الدين ودعوة الأنبياء والمصلحين ما يُوجب كونه الهدف الأول والغاية الكبرى لأي داعية أو دعوة مهما كانت مبررات قيامها في أي زمان وأي مكان ، وقد أشرت في مبحث سابق إلى منزلة دعوة التوحيد عموماً ، وتوحيد العبادة والألوهية على الخصوص^١ ، ولا غرو ، فإن هذا التوحيد - توحيد الألوهية والعبادة - هو الغاية الأولى من خلق الجن والإنس ، قال الله - تعالى : **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }** [سورة الذاريات ، الآية : ٥٦] .

وهذا التوحيد هو أول ما يتوجه إليه أمر الله وقضاؤه . قال الله - تعالى - : **{ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ }** [سورة البيّنة ، الآية : ٥] .

وقال - تعالى - : **{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ }** [سورة الإسراء ، الآية : ٢٣] .
وقال الله - تعالى : **{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }** [سورة الفاتحة ، الآية : ٥] .
والله - تعالى - ذكر أنه بعث جميع رسله بهذا التوحيد ، فقال - تعالى : **{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ }** [سورة النحل ، الآية : ٣٦] .

ويتفرع عن هذه المسألة أمر آخر جد خطير ، وقد غفلت عنه أكثر الدعوات اليوم ، ألا وهو وقوع كثير من المسلمين اليوم فيما يناقض هذا التوحيد أو ينقصه أو يخل به .
فمما يناقضه من أعمال واعتقادات بعض المنتسبين للإسلام : دعاء غير الله والاستعانة بغير الله ، والذبح والنذر لغير الله ، وتصديق الكهّان ، وما يفعلون عند القبور ، وعند شيوخ الصوفية ، وغير ذلك مما لا يخفى على الدعاة ولا غيرهم .

^١ - راجع (عقيدة التوحيد فو دعوة الرسل عامة) من هذا المبحث .

ومما يناقض التوحيد ويخدشه : شيوع البدع والخرافات كالموالد والتمسح بالقبور والأشخاص والأحجار والأشجار وغيرها، ومن الحلف بغير الله ، ونحو ذلك .
كل هذا وغيره مما هو خلل في التوحيد ؛ من الأمراض المستشرية في جسم الأمة الإسلامية ، ولا بد من علاجه أولاً قبل غيره من الأمراض الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية ... إلخ . لأن مرض الاعتقاد هو مرض القلوب ، وهو الداء العضال والمرض الأول الذي نتجت عنه جميع الأمراض والانحرافات الخلقية وغيرها ، وهذا هو داء الأمم قديماً وحديثاً .
فهذا المرض على الرغم من خطره وانتشاره ووضوحه لم يلق من كثير من الدعوات الإصلاحية ما يستحقه .

تنبيه :

حينما أقول : إنه يجب العناية أولاً بالتوحيد ومحاربة البدع والشركيات ؛ فهذا لا يعني أن يغفل الدعاة الجوانب الأخرى من تحقيق المصالح ، ودرء المفسد وعلاج الانحرافات الاجتماعية والخلقية والفكرية والسياسية والاقتصادية ، وما أثقلها وأعظمها وأعقدها ، إنما أقول : إن الداعية يجب عليه أن يهتم بكل شئ يهم الإسلام والمسلمين مهما صغير أو قل ، ولو قصر في شئ كان ملمواً بقدر تقصيره فيما يقدر عليه ، وهذا هو مقتضى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح الذي أمر الله به ، وأمر به رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فاهتمام الداعي المصلح لا سيما الدعوات والحركات الجماعية لا بد أن يأخذ صفة الشمول في الإصلاح ، إنما يكون للأولويات اعتبار ، بحيث يبدأ بما بدأ الله به وبدأ به رسله الكرام جميعاً ، وما بدأ به رسولنا - صلى الله عليه وسلم - على وجه الخصوص ، وهو التوحيد ، فيبدأ بالأخطر والأعظم ظمناً وهو الشرك والبدع وفساد العقائد ، وفي الوقت نفسه يسعى إلى الإصلاح وينهى عن الفساد .

وهناك أمر يغفل عنه الكثيرون ، ألا وهو أن صلاح أحوال الناس في معاشهم وأخلاقهم مرتبط بسلامة توحيدهم وعقيدتهم ، قال الله - تعالى - : **{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }** [سورة الأعراف ، الآية : ٩٦] .

والإيمان والتقوى لا يتحققان إلا بصحة الاعتقاد وسلامة العبادة ، إذ قبول الأعمال الصالحة المفروضة منها والمسنونة كالصلاة والزكاة والصيام والحج والدعاء والإحسان إلى الناس ، والبر والصدق والعفاف والصلة ، كل ذلك وغيره مرتبط بصحة الاعتقاد ، وصحة الاتباع ، وبالإخلاص لله تعالى وحده ، وأن يكون العمل صواباً على مقتضى أمر الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم .

ومما يؤسف له أن بعض الحركات لا تكتفي بالاستهانة بهذا الواجب العظيم والتخلي عنه ، وهو تطهير عقائد المسلمين وعباداتهم ، بل تلمز من يقوم بذلك ، وترى أن هذا المنهج عقيم ناتج عن قصور التفكير وضيق الأفق ، وأحياناً تدعي أن ذلك اهتمام بالقشور، ويتمثل هذا في الذين يأخذون على الدعوات السنة - كأئصار السنة والسلفيين و أهل الحديث- اهتمامهم بتخليص الأمة من البدع والخرافات وعنايتهم بتصحيح العقائد .

نعم قد يكون لدى هذه الجماعات شئ من القصور والأخطاء في الأساليب ، أما اهتمامهم بالعقيدة والعبادة ومحاربتهم البدع فهي منقبة كبرى تُحمد لهم، ويُمدحون بها ، بل إن اهتمام هذه الدعوات بالعقيدة ومحاربة الشراكيات والبدع يُؤيد القول بأنها من الدعوات التي تنسب إلى أهل السنة والجماعة ، والطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية ، لتوافر أكثر صفاتهم فيها أكثر من غيرهم .

٢ - ومن الأخطاء التي وقعت فيها غالب الحركات والجماعات بسبب ضعف صلتها بمنهج السلف الصالح : ضعف الاهتمام بالعلوم الشرعية ، تعلماً وتعليماً . وهذا الخلل يوجد لدى أغلب الحركات الإسلامية المعاصرة غير السلفية ، فهي لا تولي هذا الجانب عناية كافية على العموم ، كما أنه قل أن تجد فيها ومن أتباعها علماء متضلعين في العلوم الشرعية ، وأحياناً يوجد بين الحركات والدعوات الإسلامية وبين أفراد من العلماء المتمكنين في علوم الكتاب والسنة بعض الجفوة ، وربما يكون سبب هذه الجفوة أن هؤلاء العلماء - خاصة علماء السنة - متفوقون في العلوم الشرعية ، وأتباع الحركات دونهم ، ولم تهتد الدعوات إلى الأسلوب الأمثل للإفادة من علم أولئك .

ومما يؤلم أن فكرة التحرر من بعض العلوم الأصولية ، وغير الأصولية ، من العلوم الشرعية ، كعلوم الحديث والعقيدة وأصول الفقه والفقه ، بدعوى ضرورة التجديد ، قد سرت وأثرت أثرها السلبي في كثير من الدعاة اليوم ، لا سيما مع الجهل بقيمة هذه العلوم التي يركز عليها الدين .

وأنه ليحزنني كما يحزن كل مسلم أن يقول أو يعلن هذه الحقيقة، لكنه واجب النصيحة ، وهي : أننا لو تأملنا واقع أكثر الدعوات والدعاة لوجدناهم من المصابين بالضحالة في العلوم الشرعية ، وقلة البضاعة من نصوص الكتاب والسنة ، وتراث سلفنا الصالح ، قراءة وحفظاً وتدبيراً وعلماً وعملاً . مما نجم عنه التخبط في العقيدة والأصول والأحكام والمواقف ، وضعف التمسك بهدي القرآن والسنة ، ولو أنهم امتثلوا قول الله تعالى : { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [سورة التوبة ، الآية : ١٢٢] .

أقول : لو أن تلك الدعوات المعاصرة جندت طوائف منها للتخصص في علوم الدين والعمق فيها ؛ لكان لذلك الأثر العظيم .

والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : " من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين " ^١

٣ - ومن تلك الأخطاء : التعصب والحزبية والغرور :

^١ - صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام ، الباب ١٠ ، الحديث رقم (٧٣١٢) . فتح الباري - ١٣ / ٢٩٣ .

وهذه السمة - مع الأسف - سمة غالبية في أكثر الجماعات والحركات الإسلامية الإصلاحية ، فكل حزب بما لديهم فرحون ، وكل فريق يرى أنه الجدير بالاتباع ، والجدير بقيادة الأمة ! ، وأنه الذي يملك القدرة على حل مشكلاتها .
ومن الحركات من ينظر إلى غير منسوبي جماعته من عامة المسلمين أو من الدعوات والدعاة الآخرين ، على أنهم بدرجة أقل من الجدارة والتفكير والإدراك للمصالح ، أو على الأقل أنهم (مساكين) ينظر إليهم نظرة إشفاق وإهمال .
وربما تدّعي بعض الحركات أنها (جماعة المسلمين) ، أو أنها الأجدر بهذا الوصف ! .
وقد أدى الغرور لدى بعض الحركات الإسلامية بأن جعلها تستهين بالعلوم الشرعية ، وبالعلماء المتمكنين في علوم الشريعة الذين لا ينتمون إليها ، ورمى بعضهم بالتغفيل وقصور التفكير وضيق الأفق لأنهم لم يواكبوا هذه الدعوة والحركة أو تلك ، أو أنهم ربما اهتموا بإنكار المنكرات بطريقة بدائية ، بل ربما ذهبوا للحكام والسلطين لمناصحتهم أو نحو ذلك .
أليس هذا هو الغرور القاتل ، والجهل بمنهج السلف الصالح ؟ .

٤ - ومن تلك الأخطار التي ترتبت على الجهل بمنهج السلف : التفرق والاختلاف ، وهذا - مع الأسف - من أبرز سمات الحركات الإسلامية القائمة .
وهذه السمة قد ذمّها الله - تعالى - ونهى عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال الله - تعالى - : **{ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }** [سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣] .
وقال - تعالى - : **{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ }** [سورة آل عمران ، الآية : ١٠٥] .
وقال الله - تعالى - **{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ }** [سورة الأنعام ، الآية : ١٥٩] .
وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا " ^١ .

ومع شدة النهي عنها في الدين ؛ فقد وقعت فيها بعض الحركات الإسلامية والدعاة المعاصرون ، على الرغم من إلحاح الحاجة إلى الاجتماع على الحق وعلى الكتاب والسنة ، فالدعوات المعاصرة لا تزال متفرقة في مناهجها وأهدافها وأساليبها وأعمالها ، وتعلن هذا الخلاف وتصدّده . بل حتى تلك الدعوات المتشابهة في المنهج ، أو بعضه ، تنزع إلى الاستقلالية والتفرق واصطناع الاختلاف في واقع أمرها ، مما يدل على أن المشكلة في رؤوس الأشخاص أنفسهم ، وأهوائهم ، والسبب الرئيسي لذلك ضعف الصلة بالكتاب والسنة والأثر ، وبمنهج السلف الصالح (لدى الغالبية) ، والتعصب والحزبية والغرور ، ثم عدم الالتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة التي تقضي

^١ - من حديث أخرجه البخاري في كتاب الخصومات - باب ما يذكر في الأشخاص ، الحديث في فتح الباري ، ٧٠ / ٥ ، رقم ٢٤١٠ . وانظر : ٣٤٧٦ ، ٥٠٦٢ . وأخرجه أحمد في المسند ١ / ٤١٢ ، ٤٥٦ .

بوجوب الاجتماع على الحق ، والاعتصام بحبل الله المتين ، وتزول بها أسباب الاختلاف في الدين .

وأنا لا أطلب من الحركات والدعاة أن يجتمعوا على ما هم عليه من مخالفات عقديّة وسلوكية لمنهج السلف ، فهذا تليفق أبرأ إلى الله أن أدعو إليه ، إنما المطلوب من الجميع الإجماع على الحق ، والحق واضح من خلال كتاب الله ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وتراث سلفنا الصالح .

(٢) خواطر ووقفات حول الدعوة والعقيدة

وبعد هذه الجولة السريعة الخفيفة في مسائل العقيدة والدعوة ، وغيرها ، بقيت في نفسي بعض الخواطر والوقفات مرت الإشارة إليه، ولا يزال في النفس منه رغبة في المزيد ، وبعضها لم تسبق الإشارة إليه ، ومن أهم هذه الخواطر والوقفات التي أحببت التنبيه عليها ما يلي :

أولاً : أن الدعوات والحركات الإسلامية المعاصرة وأكثر الدعاة في شتى بقاع العالم هم في العموم من أفضل فئات المسلمين بحسب حالهم اليوم (ويستثنى من ذلك الحركات الهدامة وإن انتسبت للإسلام ، كالكاديانية ، والبابية ، والبهائية ، والبهرة ، والبريلوية ، وأحزاب وطوائف الروافض والباطنية والصوفية الغالية والإسماعيلية وغيرها) .
فالدعوات الإصلاحية والحركات المعاصرة ، تحمد على كونها هبّت للدعوة إلى الله ونصرة دين الله ، والاهتمام بأمور المسلمين ورفع رؤية الإسلام ، وكل دعوة تجد عندها من الخير والصلاح والنفعة ، بحسب حالها ، وبحسب أهدافها ، وإن كانت تتفاوت في ذلك تفاوتاً عظيماً . لكن الذي لا أشك فيه أن غالب هؤلاء ينشدون الإصلاح والإصلاح ، لكن كونها كذلك لا يعصمها من الخطأ والزلل ، بل العكس يجعلها عرضة للأخطاء ، والنقد والنصح والتقويم والتسديد والمحاسبة ، حيث وضعت نفسها في هذه الوظيفة العظمى (الدعوة إلى دين الله) .

ثم أن مصائب المسلمين وانحرافاتهم في العموم أعظم وأخطر مما عليه الدعاة ، لكن الدعاة هم القدوة ، وهم الرواد، والرائد لا يكذب أهله ، ولا يُعذر حين يعظم زلله .
وأنا قلت ذلك وكررتة احترازاً من أن يفهم عني أنني أغمط الدعوات حقها ، أو أن عدمها خير من وجودها ، كلا ، فهي بالرغم مما يوجد لديها من خلل ونقص وانحراف - أحياناً - ففيها الخير والنفعة ، وعليها أن تتجنب التعصب ، وأن تعالج أخطاءها على هدي من كتاب الله ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وهدي السلف الصالح ، وسيكون بذلك صلاحها وفلاحها وفلاح الأمة على يدها - إن شاء الله -

ثانياً : من خلال ما أسمع وأقروءه عن كثير من المهتمين بالدعوة والعقيدة ، ظهر لي أن هناك خطأ فادحاً في التصورات حول الدعوة ومستقبل الإسلام والمسلمين ، يقع فيه كثير من الناس ، وذلك حين يتكلمون عما يجب أن يكون عليه المسلمون ، وأن تكون عليه الحركات والدعوات الإصلاحية وعن المناهج والطرق الأسلم والأصوب لإخراج المسلمين من وهنتهم ، وهوانهم ، وجهلهم وبعدهم عن الدين .

هذا الخطأ يتمثل : فيما يسلكه بعض الناس - خاصة من الدعاة والمفكرين والحركات - من الجزم والإصرار على دعوى أن المسلمين لا يكون عزهم ونصرهم إلا بالأسلوب الذي يراه ذلك الشخص ، أو تلك الجماعة .

فمن قائل بأن الوصول إلى الحكم وإقامة الدولة الإسلامية هو الحل الأول .
ومن قائل بأن القوة هي الطريق الوحيد لعودة المسلمين للدين !
ومن قائل بأن التقدم الحضاري هو الأسلوب الأوحد !
ومدع أن التجمعات الحزبية وشبه الحزبية هي الأسلوب الحتمي لا سواه !!
ومن جازم بأن الإصلاح الفردي هو الأسلم لا سواه !
.. إلخ من الآراء والاتجاهات السائدة في الساحة .

وأنا لا اعتراض لي على مجرد طرح هذه المناهج والتصورات والعمل عليها بقناعة لدى من يراها ، وإنما اعتراضي واستنكاري على من يحدد طريقة ويجزم بها ، ويعتقدها ويرتب عليها أحكاماً شرعية ومستلزمات دعوية ، ويخطئ غيرها ويرده ، ويجعل فكرته هي الميزان ، وأن من حاد عنها فهو مخطئ ، أو هو عقبة في وجه الدعوة والإصلاح ، مما أدى إلى وجود الحزبيات والتكتلات والفرق بين صفوف الدعاة .

ويبدو هذا واضحاً جلياً من خلال كثرة الاتجاهات والجماعات ، نقد الدعوات والدعاة بعضهم لبعض أحياناً ، ومن خلال نقد الآخرين - أيضاً - للدعاة .
والذي أراه : أن مسألة الأسلوب الأمثل في الدعوة والإصلاح مسألة اجتهادية مشروطة بالتقيد بنصوص القرآن والسنة ومنهج السلف الصالح في الإصلاح والدعوة والجهاد والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإن تعددت الأساليب والوسائل في كل بلد بحسبه ، ما دام الأمر في حدود المباح شرعاً .

والأمر الآخر : أن مسألة مستقبل الدعوة ومستقبل الإسلام والمسلمين مسألة غيبية لا يعلمها إلا الله ، والله - سبحانه - قد يهيئ للأمة من أمرها رشداً بما لا يدور في خلد أحد ، مهما بالغنا في وضع التصورات والافتراضات .
* فربما يبعث الله لهذه الأمة مصلحاً إماماً يجمع كلمتها ، ويوحد صفها ، ويجدد لها دينها ، وينصر السنة وأهلها ، كما وعد بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله :
" إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " ^١ .

* وربما يكون النصر والخير على يد حاكم أو دولة صالحة ، بل إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخبر في الحديث الصحيح بقوله : " إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " ^٢ .

^١ - أخرجه أبو داود في الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة ، الحديث (٤٢٩١) ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٨٤٥) ، وعزاه للحاكم في المستدرک والبيهقي في المعرفة ، وقال : " حديث صحيح " ١ / ٢٨٢ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٨٧٠) ٢ / ١٤٣ . وانظر مستدرک الحاكم ٤ / ٥٢٢ .
^٢ - أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ، الحديث رقم (٣٠٦٢) من فتح الباري ٦ / ١٧٩ . وفي القدر والمغازي - أيضاً - ومسلم في كتاب الإيمان ، باب (٤٧) الحديث (١١١) ١ / ١٠٥ - ١٠٦ .

* وربما تحدث أحداث عظام جسام تلجئ الناس إلى اللجوء إلى الحق والاعتصام بالدين ، والاستمساك بالكتاب والسنة وهدى السلف الصالح ، وربما يأتي الفتح من الله بما لا يخطر على بال بشر .

* وربما يقضي الله - تعالى - بانهيار المدنية الغربية الرأسمالية ، كما انهارت الشيوعية دون عناء فتلقاً البشرية إلى الإسلام .

وهذه افتراضات كلها جائزة - عقلاً وشرعاً - ولها أمثلة من التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً ، فعلام الخلاف في أمر غيب هو من مقادير الله التي لا يعلمها إلا هو سبحانه ؟

والذي أراه : أنه يجب أن يحترم كل مسلم وجهة نظر الآخر ما دامت في حدود الشرع ، ولم تخالف الكتاب والسنة ، وإن تعددت الوسائل والمناهج الاجتهادية ، ما دامت فيما يسع فيه الاجتهاد والخلاف .

ثم إن اختلاف بلاد المسلمين وأحوالهم ومجتمعاتهم وأوضاعهم الجغرافية والسياسية قد يستلزم تعدد الأساليب والمناهج الاجتهادية ، فليعذر بعضهم بعضاً في هذه الحدود ، أما ما يخالف النصوص الشرعية ، وأحكام الشرع والعقيدة السليمة ، وما سار عليه السلف من أصول الدين ؛ فيجب العدول عنه إلى الحق مع من كان ، وأينما كان .

ثالثاً : أرى كثيراً من الدعوات والدعاة المعاصرين يصرفون جل اهتمامهم إلى تشخيص وعلاج مظاهر الانحراف والفساد الأخلاقي لدى المسلمين ، وهذه خصلة تحمد لهم ، بل الواجب أن يكون الأمر كذلك ، لكني مع ذلك لا أعذرهم - أو الكثيرين منهم - حين يذهلون ذهولاً أعمى عن الخلل الأعظم والأخطر ، ذلكم الخلل الذي لا شك أنه هو السبب الأول للانحراف الخلقى والفساد الاجتماعي ، والفوضى والجهل والتخلف و سائر المفاصد . ذلكم الخلل الحاصل في اعتقاد المسلمين علماء وعملاً ، والمتمثل في : الجهل بأوليات الإسلام ، والوقوع في المعتقدات الضالة ، والأعمال الشركية والبدعية ، من بدع المقابر ، وتقديس الأشخاص الأموات والأحياء ، وتقديس الأولياء والأقطاب والأغوات^١ ، وبدع الصوفية النكدة ، وبدع المشاهد والآثار والأشجار والأحجار ، وصرف كثير من أنواع العبادة لغير الله - سبحانه - ، ونحو ذلك مما يطول ذكره ، ولا يخفى على ذي بصيرة .

كما يتمثل هذا الخلل - أيضاً - لدى الدعاة في إغفال أكثرهم الاهتمام بأصول الدين وفرائض الإسلام ، أو إعطائها أقل مما تستحقه من الاهتمام والعناية ، مع العلم أنها هي مفاتيح الخير والصلاح ، وهي مغاليق الشر والفساد ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإخلاص العبادة لله وحده ، ونبذ الشرك والبدع ووسائلهما ، ونحو ذلك من الأصول .

^١ - خرافة الأقطاب والأغوات هذه من دواهي الصوفية التي رمتها على الإسلام ، فهم يزعمون أن لهم يداً في تدبير تصارييف الكون ومقادير الخلق ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . لمزيد الإطلاع عنها راجع : الفكر الصوفي ، لعبد الرحمن عبدالخالق ، ص

ولو تأملنا نصوص القرآن والسنة لوجدنا أن الاهتمام بالأصول يشير إلى أن هذا هو الواجب الأول في الدعوة ، وهو الذي به يحصل صلاح الناس وأحوالهم ، وبه ينتهون عن الفساد والمنكر من تلقاء أنفسهم ، وإلى هذا المعنى وجهنا الله - تعالى - إلى إقامة الصلاة ، وهي من الأصول العظيمة ، وبين أن إقامتها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فقال - تعالى - : **{ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ }** [سورة العنكبوت ، الآية : ٤٥] .

وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن عبادة الله وحده وترك الشرك وإقامة أركان الإسلام هي الإسلام الذي يرضاه الله ويأمر به ، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان إذا فعل ذلك صلحت أموره ، فقد جاء في حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم ، وفيه : (فاتاه رجل فقال : يا رسول الله ، ما الإسلام ؟ قال : " أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ... " الحديث)^١ .
ومن ذلك قصة الرجل الذي سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام ، فذكر له صلى الله عليه وسلم : " الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج " ، فقال الرجل : " والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن " ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " لئن صدق ليدخلن الجنة " .^٢

وذلك لأنه من المعلوم بالضرورة أن من فعل هذه الأمور العظيمة على وجهها كما أمر الله ، مخلصاً دينه لله ، فإن سائر أحواله ستصلح ويهديه الله سبل الخير والصلاح والفلاح ، وجنة الله ورضوانه . كما قال - تعالى - : **{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ }** [سورة محمد ، الآية : ٢] .

ولا يعني هذا أني أقلل من شأن محاربة الفساد والانحرافات الخلقية ، كلا والله ، فهذا (أي النهي عن الفساد) أصل عظيم من أصول الدين ، لكنني أقول يجب أن نبدأ بما بدأ الله به ، وبدأ به أنبيأؤه من حيث الأولوية ، ونعطي كل أمر حقه ، كما أمر الله ، فالإسلام كل لا يتجزأ ، والإيمان بضع وسبعون شعبة ، لكنني أقول: إن حق الله أولى ، وبعده ترتب الأمور كما جاءت في دين الله .

فتوحيد الله وطاعته ، وطاعة رسوله ، واتباع شرعه ، ونبذ الشرك والطاغوت ، أصل عظيم ، ثم إقامة الفرائض من الصلاة والزكاة والصيام والحج أصل عظيم ، ثم الجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر أصل عظيم ، ثم النهي عن الفساد في الأرض ، والأمر بالفضائل أصل عظيم كذلك ، فكل الأصول يجب أن نهتم بها .

^١ - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان والإسلام والإحسان ، الحديث (٩) ٣٩ / ١ .

^٢ - صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب السؤال عن أركان الإسلام ، الحديث (١٢) ٤٢ / ١ .

لكن الأصل الأول هو أجلها وأعظمها ، وهو العروة الوثقى ، قال - تعالى - : { فَمَنْ
يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا } [سورة البقرة ، الآية
: ٢٥٦] .

كما أني لا أدعي أن الدعوات المعاصرة لم تهتم بهذا الأمر العظيم ، لكني أقول وعلى
ثقة - والواقع يشهد - أنها - أكثرها - لم تعطه حقه ، ولم تنتبه إلى أنه هو الأعظم
والأخطر ، وأن الانحراف فيه هو السبب الأول لكل انحراف وضلال .
وقد أشرت سابقاً إلى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حينما قاتل الناس في دين الله ،
قاتلهم على الأصول : شهادة أن لا إله إلا الله (وعبادة الله وحده ونبذ الشرك) ،
وشهادة أن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ... إلخ ،
لأن هذه الأصول إذا قام الناس بحقها - كما أمر الله - صلحت قلوبهم وأعمالهم وسائر
أحوالهم ، ثم إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يهمل الجوانب الأخرى من الأحكام
والآداب والأخلاق ، لكنها جاءت بعد تلك الأصول لأنها تبع لها ، ومبنية عليها ، لا
العكس .

وخلاصة هذا الموضوع :

أن صلاح حال المسلمين وإخراجهم مما هم عليه من جهل وفساد وانحراف وتخلف
مرتبط قبل كل شيء بصلاح عقيدتهم واستقامتهم على دين الله ، وعبادته وحده وتقواه -
سبحانه - وطاعته ، واتباع رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا هو منهج الرسل
ومنهج القرآن والسنة ومنهج الصالحين المهتدين ، وما دعوة الشيخ محمد بن
عبد الوهاب - يرحمه الله - منا ببعيد . أما صرف بعض الدعاة النظر عن هذه المسألة ،
واهتمامهم بغيرها مما هو فرع منها فهو بمثابة علاج الشجة والجروح في رأس مقطوع
.

رابعاً : هناك خلل أو تصور خاطئ يقع فيه بعض الناقدین الذين يتابعون مسيرة
الدعوات الإسلامية المعاصرة ، وهذا الخلل : تقدير بعضهم لنجاح حركة ما أو فشلها
بعدد أتباعها ، وانتشارها ، أو بذیوع صيبتها وأخبارها إعلامياً ، أو بما تحققه من
اتصالات سياسية ، أو بكثرة ما تقوله وتكتبه ، أو برفعها للشعارات الإسلامية ،
والنداءات بتطبيق الشريعة الإسلامية ، ومحاربة الإلحاد والقومية .. كل هذا أمر طيب
ومفيد ، لكن ذلك - بنظري - مسلك لا يتوافق مع موازين الإسلام وأصوله ، إنما العبرة
في تقويمنا لأي دعوة من شخص أو حركة أو جماعة أو دولة أو غيرها بمدى موافقتها
لكتاب الله ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وما يتبع ذلك من سلامة العقيدة ،
وسلامة المنهج شرعاً ، واتباع هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في الأحكام والسنن
والآداب وغيرها ، واتباع هدي السلف الصالح ، وطلب العلم الشرعي ، وما عدا ذلك
يبقى مجرد شعار من الشعارات ، كسائر الشعارات الوضعية المطروحة في الساحة .

ويدل على قولي هذا :

أن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، وإلى الإصلاح ، وإلى النهضة والتقدم ، وإلى حلول مشكلات المسلمين في ضوء الشريعة الإسلامية ، وكذلك رفع الشعارات الإسلامية بشتى جوانب الحياة ، أقول إن هذا قاسم مشترك لا يمتاز به أحد دون أحد من الدعاة والدعوات في البلاد الإسلامية .

فالرافضة : ترفع هذا الشعار الإسلامي ! والتحريريون (المعتزلة الجدد) ، والترابييون ، والتجديديون ، والعصرانيون يرفعون هذا الشعار الإسلامي ، والقاديانية والبهائية ، والبابية ، والباطنيون ، والمتصوفة الغلاة والبدعيون كلهم يرفعون هذا شعارات إسلامية ! ، بل أصبح رفع الشعارات الإسلامية سلعة يعرضها حتى القوميون والاشتراكيون بل والشيوعيون - أحياناً - ، وتلعب من خلالها الماسونية والمخابرات العالمية (بشتى مشاربها) .

فيتحرر أن الاعتبار والميزان هو الكتاب والسنة ، وما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وأصحابه وأئمة الهدى المتبعون .

إذاً ليست المسألة مسألة شعارات تُرفع ، أو عواطف تُسكب ، أو عبارات تُديج ، أو نحوها ، إنما العبرة بتحقيق العبودية لله - تعالى - وحده ، وابتاع رسوله - صلى الله عليه وسلم - منهجاً وعقيدة وسلوكاً .

فالمسألة تحتاج إلى وقفة وتأمل ومحاسبة من قبل القائمين على الدعوات ، فإن الأمر خطير - جد خطير - ، والامانة جد ثقيلة ، وصراط الله المستقيم بيّن ظاهر . والحمد لله في الأولى والآخرة ، وله العقبى .

وفقتي الله وجميع المسلمين إلى ما يحبه ويرضاه ، وجنبنا طريق الضلالة .
ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقينا عذاب النار . ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

اللهم صلي وسلم على نبينا محمد ، وآله وصحبه ، وأتباعه إلى يوم الدين ، واجعلنا معهم على الحق ، برحمتك وتوفيقك .

سبحانك ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين .

والحمد لله رب العالمين

كتبه :

ناصر بن عبدالكريم العقل

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية أصول الدين - الرياض

المراجع

- ١ - الإبانة عن أصول الديانة ، الإمام أبو الحسن الأشعري ، المتوفى ٣٢٤ هـ ، ط : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٥ هـ ، بتقديم حماد الأنصاري .
- ٢ - إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، المتوفى ٨٠٦ هـ ، ط : دار المعرفة ، بيروت - لبنان .
- ٣ - الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، مطبوع ضمن مجموعة (عقائد السلف) بعناية : النشار والطالبي سنة ١٩٧١ م .
- ٤ - الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، إمام الحرمين أبو المعالي الجويني ، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ . تحقيق : أسعد تميم ، ط : أولى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت - لبنان .
- ٥ - أساس التقديس ، فخر الدين الرازي ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بمصر ، ١٤٠٦ هـ .
- ٦ - الأسماء والصفات ، أبو بكر البيهقي ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، ط : أولى ١٤٠٥ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ٧ - أصول الدين ، المسمى معالم أصول الدين ، فخر الدين الرازي ، مراجعة عبدالرؤف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة - مصر .
- ٨ - أصول الدين ، أبو منصور عبدالقاهر البغدادي ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ، ط : ثانية ١٤٠٠ هـ ، بيروت - لبنان ، مصورة عن الطبعة الأولى باستانبول - تركيا .
- ٩ - الاعتصام ، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي ، المتوفى سنة ٧٩٠ هـ ، بتعريف : محمد رشيد رضا ، ط : دار المعرفة ، ١٤٠٢ هـ ، بيروت - لبنان .
- ١٠ - الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، الحافظ أبو بكر البيهقي ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ . تخريج وتعليق : أحمد عصام الكاتب ، ط : أولى ، دار الآفاق الجديدة ١٤٠١ هـ .
- ١١ - أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط : أولى ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦ هـ .
- ١٢ - الاقتصاد في الاعتقاد ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق : محمد مصطفى أبو العلا ، ٧ / ١٩٧٢ م ، مكتبة الجندي ، القاهرة - مصر .
- ١٣ - الله - جل جلاله ، سعيد حوي ، ط : الثالثة ، ١٣٩٢ هـ .
- ١٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، ط : أولى ، دار الكتاب الجديد ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٦ هـ .

- ١٥ - الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، (المسمى : الرسالة الحرة)
تعليق : محمد زاهد الكوثري ، ط : ١٣٦٩ هـ ، القاهرة - مصر .
- ١٦ - إيضاح الدلالة في عموم الرسالة ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، نشر مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- ١٧ - الإيمان ، الحافظ محمد بن يحيى العدني ، المتوفى سنة ٢٤٣ هـ ، دراسة وتحقيق : حمد بن حمدي الحربي ، ط : أولى ، الدار السلفية - الكويت ١٤٠٧ هـ .
- ١٨ - الإيمان ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، ط : دار الثقافة الإسلامية بالرياض ، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٨١ هـ .
- ١٩ - الإيمان ، الحافظ محمد بن إسحاق بن منده ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، تحقيق : د . علي بن محمد الفقيهي ، ط : ثانية ١٤٠٦ هـ .

(ب)

- ٢٠ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (نقض تأسيس الجهمية) ، بن تيمية ، إخراج : محمد بن عبدالرحمن قاسم ، ط : أولى ١٣٩١ هـ .

(ت)

- ٢١ - تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن أيوب ، نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، ط : دار القرآن الكريم ١٤٠٠ هـ .
- ٢٢ - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري ، ابن عساكر الدمشقي ، المتوفى سنة ٥٧١ هـ ، نشر دار الكتاب العربي (مصورة) ١٣٩٩ هـ ، بعناية القدسي .
- ٢٣ - تجديد الفكر الإسلامي ، د . حسن عبدالله الترابي ، ط : جمعية الهدى القرآني (محاضرة أقيمت بجامعة الخرطوم سنة ١٩٧٧ م) .
- ٢٤ - تخريج المشكاة ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، بهامش كتاب مشكاة المصابيح للتبريزي ، الطبعة الثانية عام ١٣٩٩ هـ ، المكتب الإسلامي .
- ٢٥ - تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، محمد بن علي الشوكاني ، المتوفى سنة ١١٨٢ هـ ، تعليق : محمد عبدالمنعم خفاجي ، ط : أولى ، مكتبة ومطبعة محمد صبيح - مصر .
- ٢٦ - تفسير القرآن الكريم ، الإمام إسماعيل بن كثير ، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، ط : أولى ، دار القلم ، بيروت - لبنان .
- ٢٧ - التمهيد ، أبو بكر الباقلاني ، تحقيق : الأب رتشارد مكارثي ، ط : المكتبة الشرقية (١٩٥٧) بيروت - لبنان . وطبعة أخرى ، تحقيق : محمود محمد الخضير ، و د . محمد عبدالباري ريدة ، ط : ١٩٦٧ م .

٢٨ - التوحيد وإثبات صفات الرب - عز وجل ، الإمام أبو بكر بن خزيمة ، تحقيق : د عبدالعزیز بن إبراهيم الشهوان ، ط : أولى دار الرشد ، بالرياض - المملكة العربية السعودية .

٢٩ - التوسل ، أنواعه وأحكامه ، محمد ناصر الدين الألباني ، بعناية محمد عيد العباسي ، ط : ثانية ١٣٩٧ هـ ، المكتب الإسلامي .

(ج)

٣٠ - جامع البيان في تفسير القرآن ، الإمام أبو جعفر الطبري . ط : ٣ ، ١٣٩٨ هـ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

٣١ - جامع الرسائل ، شيخ الإسلام ابن تيمية . تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، ط : ثانية ، ١٤٠٥ هـ ، دار المدني للنشر والتوزيع .

٣٢ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، نشر المكتبة الإسلامية .

٣٣ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، جلال الدين السيوطي ، ط : أولى ١٤٠١ هـ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .

٣٤ - الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، سليم الهلالي وزياد الدبيح ، ط : ثانية ١٤٠١ هـ .

(ح)

٣٥ - الحيدة ، الإمام عبدالعزیز الكفاني ، المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، ط : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٥ هـ ، ط : ثانية .

(خ)

٣٦ - خطبة الحاجة ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط : الثالثة ١٣٩٧ هـ ، المكتب الإسلامي .

(د)

٣٧ - درء تعارض العقل والنقل ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، ط : أولى ١٤٠١ هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض - المملكة العربية السعودية .

٣٨ - دعاة لا قضاة ، حسن الهضيبي ، ط : دار الطباعة والنشر الإسلامية ١٣٩٧ هـ .

- ٣٩ - دعوة التوحيد ، أصولها والأدوار التي مرت بها ومشاهير دعائها ، د. محمد خليل هراس ، ط : مكتبة الصحابة ، طنطا - مصر .
- ٤٠ - دليل القارئ إلى مواضع الحديث في صحيح البخاري ، عبدالله بن محمد الغنيمان ، ط : ثانية ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ .

(ذ)

- ٤١ - ذم التأويل ، الموفق بن قدامة المقدسي ، المتوفى سنة ٦٢٠ هـ ، تحقيق : بدر بن عبدالله البدر ، ط : أولى ١٤٠٦ هـ .
- ٤٢ - رد الإمام الدارمي على بشر المريسي ، الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي ، المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، بتعليق : محمد حامد الفقي ، ط : أولى ١٣٥٨ هـ .
- ٤٣ - الرد على الجهمية ، للدارمي الحافظ عثمان بن سعيد ، ضمن مجموعة (عقائد السلف) ، طبع بعناية النشار والطالسبي سنة ١٩٧١ م .
- ٤٤ - الرد على الزنادقة والجهمية ، الإمام أحمد بن حنبل . ط : المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ .
- ٤٥ - رسائل في العقيدة ، محمد بن صالح العثيمين ، ط : أولى ١٤٠٤ هـ ، دار طيبة بالرياض - المملكة العربية السعودية .
- ٤٦ - الرسالة التدمرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : الإدارة العامة للمعاهد العلمية ١٣٨٧ هـ . الرياض - المملكة العربية السعودية .
- ٤٧ - الرسالة العرشية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : أولى ١٣٩٩ هـ ، نشرها قصي محب الدين الخطيب
- ٤٨ - الرسالة القشيرية في علم التصوف ، أبو القاسم عبدالكريم القشيري ، المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، مصورة عن ط / ١٣٦٧ هـ .

(س)

- ٤٩ - السنة ، عبدالله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق : د . محمد بن سعيد القحطاني ، ط : أولى .
- ٥٠ - السنة ، الحافظ عمرو بن أبي عاصم ، المتوفى سنة ٢٨٧ هـ ، تخريج وتعليق : محمد ناصر الدين الألباني ، ط : أولى ١٤٠٠ هـ ، المكتب الإسلامي . ٥١ - سنن ابن ماجة ، الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط : إحياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ .
- ٥٢ - سنن أبي داود ، الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، تعليق : عزت عبدالوهاب ، ط : أولى ١٣٨٨ هـ .

- ٥٣ - سنن الدارمي ، الإمام محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي ، المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، بعناية : محمد أحمد دهمان ، دار إحياء السنة النبوية .
- ٥٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط : ثانية ، المكتب الإسلامية ، بيروت - لبنان .

(ش)

- ٥٥ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، أبو القاسم هبة الله اللالكائي ، المتوفى سنة ٤١٨ هـ ، تحقيق : د . أحمد سعد الحمدان ، نشر دار طيبة ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .
- ٥٦ - شرح السنة ، الإمام أبو محمد الحسين البغوي ، المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش ، ط : أولى ١٣٩٠ هـ ، المكتب الإسلامي .
- ٥٧ - شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، المتوفى سنة ٧٩٢ هـ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر .
- ٥٨ - شرح العقيدة الواسطية ، د . محمد خليل هراس ، تصحيح إسماعيل الأنصاري ، ط : رئاسة البحوث ، المملكة العربية السعودية ، ط : رابعة .
- ٥٩ - شرح كتاب التوحيد في صحيح البخاري ، عبدالله بن محمد الغنيمان ، ط : أولى ١٤٠٥ هـ ، توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة .
- ٦٠ - شرح المقاصد في علم الكلام ، سعد الدين التفتازاني ، المتوفى سنة ٧٩١ هـ ط : أولى ، دار المعارف النعمانية ، باكستان ١٤٠١ هـ .
- ٦١ - الشرح والإبانة على أصول السنّة والديانة ، الإمام عبيد الله محمد بن بطة ، المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، تحقيق : رضا بن نعيان معطي ، ط : ١٤٠٤ هـ ، المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة .
- ٦٢ - الشريعة ، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط : أولى ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ٦٣ - الشيخ حسن البنا ومدرسة (الإخوان المسلمون) ، د . رؤوف شلبي ، نشر دار الأنصار ، بمصر ، ط : دار الاتحاد العربي للطباعة .

(ص)

- ٦٤ - صحيح ابن خزيمة ، الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، المتوفى سنة ٣١١ هـ ، تحقيق : د . محمد مصطفى الأعظمي ، ط : أولى ١٤٠٣ هـ ، المكتب الإسلامي . ١٣٩٠ هـ .
- ٦٥ - صحيح الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط : الثالثة ١٤٠٢ هـ ، المكتب الإسلامي .

- ٦٦ - صحيح مسلم ، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : أولى ، إحياء الكتب العربية ١٣٧٤ هـ .
٦٧ - الصفات ، الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ .
تحقيق : د . علي بن محمد الفقيهي (مع نزول الكتاب) .

(ع)

- ٦٨ - العقائد الإسلامية ، الشيخ سيد سابق ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .
٦٩ - عقائد السلف (أحمد بن حنبل ، والبخاري ، وابن قتيبة ، والدارمي (مجموع) ، جمع : علي سامي النشار ، وعمار الطالبي . نشر منشأة المعارف ، الإسكندرية - مصر .
٧٠ - عقيدة السلف أصحاب الحديث ، أبو إسماعيل الصابوني . تحقيق : بدر البدر ، ط : الدار السلفية ، ط أولى ١٤٠٤ هـ .
٧١ - عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ، ط : مطبعة حسان - القاهرة .

(ف)

- ٧٢ - فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني . تحقيق : عبدالعزيز ابن باز ، ط : رئاسة البحوث بالمملكة العربية السعودية .
٧٣ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، شيخ الإسلام ابن تيمية . تعليق : محمد بن عبد الوهاب فايد ، نشر رئاسة البحوث بالمملكة العربية السعودية .
٧٤ - فضائل الصحابة ، الإمام أحمد بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٤١ هـ . تحقيق : وحي الله بن محمد عباس . ط : أولى ١٤٠٣ هـ . مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .
٧٥ - الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، عبدالرحمن عبدالخالق . ط : ثانية ١٤٠٤ هـ ، مكتبة ابن تيمية - الكويت .

(ق)

- ٧٦ - قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : ثانية ١٣٩٨ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت - لبنان .
٧٧ - القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .
٧٨ - القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد بن صالح العثيمين . نشر وتوزيع الكوثر الإسلامية ١٤٠٦ هـ .

(ك)

٧٩ - كتاب الأربعين في أصول الدين ، أبو حامد الغزالي . تحقيق : محمد مصطفى أبو العلا ، ط : القاهرة ١٩٧٠ م .

(ل)

٨٠ - لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، المتوفى سنة ٧١١ هـ . ط : دار صادر ، بيروت - لبنان .

٨١ - لمعة الاعتقاد ، الموفق بن قدامة المقدسي ، ط : رابعة ، المكتب الإسلامي .

(م)

٨٢ - مجموع فتاوي ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ . جمع : عبدالرحمن بن قاسم ، ط : أولى - مكتبة المعارف بالمغرب .

٨٣ - مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ، ط : دار الشهاب - مصر .

٨٤ - مجموعة الرسائل المنيرية ، جمع : إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها محمد منير الدمشقي ، الناشر محمد أمين دمج . ١٩٧٠ م .

٨٥ - مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي، المتوفى سنة ٦٩٦ هـ . ط : أولى ١٩٦٧ م . نشر دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

٨٦ - مختصر الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلّة ، الأصل : لابن القيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ ، اختصره : محمد بن الموصلي ، ط : مكتبة الرياض الحديثة - المملكة العربية السعودية .

٨٧ - مذكرة من حزب التحرير مقدّمة إلى العقيد معمر القذافي ، حزب التحرير ١٣٩٨ ، مطبوع .

٨٨ - المستدرک على الصحيحين ، الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، ط : مكتبة المطبوعات الإسلامية .

٨٩ - مسند الإمام أحمد ، ط : المكتب الإسلامي ، دار صادر، بيروت - لبنان .

٩٠ - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بمصر . ط : إحياء التراث العربي ، بيروت . أخرج إبراهيم مصطفى ، وأحمد الزيات ، وحامد عبدالقادر ، ومحمد علي النجار .

٩١ - منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ط : مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض - المملكة العربية السعودية .

٩٢ - الموسوعة العربية الميسرة . ط : الثانية ١٩٧٢ م .

٩٣ - النبوات ، شيخ الإسلام ابن تيمية . ط : مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض - المملكة العربية السعودية .

٩٤ - النظام الاجتماعي في الإسلام . تقي الدين النبهاني . ط : ثالثة ، منشورات حزب التحرير (القدس) عام ١٣٧٢ هـ .

٩٥ - النظام الاقتصادي في الإسلام . تقي الدين النبھاني ، ط : ثالثة ، منشورات حزب التحرير (القدس) عام ١٣٧٢ هـ .

(و)

٩٦ - وجوب الأخذ بحديث الأحاد في العقيدة ، محمد ناصر الدين الألباني ، سلسلة رسائل الدعوة السلفية (٥) ، ط : ١٣٩٤ هـ .

٩٧ - الوصية الكبرى في عقيدة أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية ، شيخ الإسلام ابن تيمية . نشر : قصى محب الدين الخطيب عام ١٣٧٩ هـ .

استدراك

٩٨ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، المستشار الدكتور علي جريشة . الطبعة الأولى عام ١٤٠٧ هـ .

٩٩ - تربيئنا الروحية ، سعيد حوى . الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ هـ .

فهرس الموضوعات

المقدمة

المبحث الأول : تمهيد ، ويشمل :

- ١ - تعريف العقيدة وموضوعها .
- * العقيدة لغة .
- * العقيدة في الاصطلاح العام .
- * العقيدة الإسلامية
- * موضوع العقيدة وما يُراد فيها .
- العقيدة / التوحيد / السنة .
- أصول الدين / الفقه الأكبر / الشريعة .
- اصطلاح غير أهل السنة في علم العقيدة .
- علم الكلام / الفلسفة / التصوف / الإلهيات .
- ما وراء الطبيعة .

٢- التعريف بأهل السنة والجماعة .

- * السنة لغة .
- * السنة اصطلاحاً .
- * الجماعة في الاصطلاح .
- * أهل السنة والجماعة .
- * مما يرادف أهل السنة والجماعة
- * السلف / أهل الأثر / أهل الحديث / الفرقة الناجية .
- * الطائفة المنصورة / الجماعة / أهل الجماعة .

المبحث الثاني : في تاريخ العقيدة وأصولها ، ويشمل :

- ١ - تاريخ العقيدة (عقيدة التوحيد) ومتى طرأ الانحراف عليها .
- ٢- عقيدة التوحيد في دعوة الرسل عامة .
- ٣- عقيدة التوحيد في دعوة نبينا - صلى الله عليه وسلم .
- * غالب آيات القرآن جاءت لتقرير التوحيد .
- * الرسول - صلى الله عليه وسلم - قضى غالب وقت النبوة لتقرير التوحيد .
- * الرسول - صلى الله عليه وسلم - قاتل الناس على التوحيد .
- ٤ - مصادر العقيدة (عقيدة أهل السنة والجماعة) .

٥ - من خصائص العقيدة الإسلامية :

- * سلامة المصدر .
- * اعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع السلف .
- * أنها تقوم على التسليم .
- * موافقتها للفطرة والعقل السليم .
- * اتصال سندها بالرسول - صلى الله عليه وسلم .
- * الوضوح والبيان .
- * سلامتها من الاضطراب والتناقض واللبس .
- * أنها سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين .
- * هي عقيدة الجماعة والاجتماع .
- * البقاء والثبات والاستقرار .

المبحث الثالث : موجز اعتقاد أهل السنة والجماعة وستلزماته ، ويشمل :

١- موجز اعتقاد أهل السنة .

أولاً : قواعد عامة :

- مصدر عقيدة أهل السنة والجماعة .
- الأخذ بخبر الأحاد إذا صح في العقيدة .
- مما اختلف فيه من أمور الدين فمرده إلى الله .
- كل أصول الدين بينها الرسول بالتفصيل (توقيفية) .
- المرجع في فهم نصوص العقيدة هم الصحابة والسلف الصالح في القرون الفاضلة .
- يجب التزام ألفاظ العقيدة الواردة في الكتاب والسنة .
- أمور العقيدة غيب .
- التسليم لله والرسول - صلى الله عليه وسلم .
- لا يجوز الجدل في الدين .
- لا يجوز تأويل نصوص العقيدة .

ثانياً : قواعد تفصيلية :

- ١- عقيدة أهل السنة في أسماء الله وصفاته .
 - ٢- عقيدة أهل السنة في الإيمان وسائر المغيبات .
- أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص .
 - توحيد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات .
 - الإيمان بالملائكة .
 - الإيمان بالكتب .

- الإيمان بالأنبياء .
- الإيمان باليوم الآخر .
- الإيمان بالقدر .
- عقيدتهم في القرآن .
- عقيدتهم في الرؤية .
- عقيدتهم في الشفاعة .
- عقيدتهم في الإسراء والمعراج .

٣- عقيدتهم في بقية الأصول والأحكام الاعتقادية .

- أولاً : حب الصحابة .
- ثانياً : مجانبة أهل البدع .
- ثالثاً : لزوم الجماعة .
- رابعاً : وجوب السمع والطاعة لولاية الأمور بالمعروف .
- خامساً : النصيحة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم .
- سادساً : الجهاد مع أئمة المسلمين .
- ثامناً : من أحكام المسلمين وحقوقهم .
- من نطق بالشهادتين وأظهر الإسلام فهو مسلم .
- لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنوب .
- لا يجوز الحكم لأحد بجنة أو نار إلا من شهد له رسول الله - صلى الله عليه وسلم .
- حكم مرتكب الكبيرة .
- الصلاة خلف أئمة المسلمين برّهم وفاجرهم .
- الولاء والبراء والحب والبغض في الله .
- كرامات الأولياء حق .

٢- الاعتصام بعقيدة أهل السنة والجماعة أمر متعيّن

٣- حقيقة الانتساب لأهل السنة ومستلزماته .

- تعلم عقيدة أهل السنة والجماعة .
- الدعوة إليها .
- أن يظهر أثرها على أفكاره وأهدافه وأقواله وأفعاله .
- أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينصح لأئمة المسلمين وعامتهم .
- أن يوالياهم ويوالي دعوتهم ودعاتهم وأئمتهم .

٤- أمثلة لواقع الدعوات المعاصرة حيال عقيدة أهل السنة والجماعة .

- من يؤول الصفات مخالف لأهل السنة .

- الانضواء تحت الطرق الصوفية مخالفة لمنهج أهل السنة .
- الدفاع عن البدع وأهلها كذلك .
- والتلبس بالبدع .
- والجهل بعقيدة السلف .
- ولمز السلف أو بعضهم والتتقيص من شأنهم .
- والتقصير في إقامة الفرائض والسنن .
- والاستهانة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- مواقف الدعاة والحركات من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ميزان للموقف من دعوة السلف .

٥ - بين أهل السنة والأشاعرة .

- أهل السنة على ما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة اعتقاداً وعملاً .
- الأشاعرة فرقة كلامية طارئة (في بعض عقائدها) .
- نشأة الأشاعرة .
- عقيدة أبي الحسن الأشعري التي استقر عليها .
- الأطوار التي مرت بها الأشعرية .
- دخول الفلسفة والتصوف وعلم الكلام على الأشعرية .
- كثرة البدع في بعض المنتسبين للأشاعرة المتأخرين .
- تسمية الأشاعرة (وغيرهم) لأهل السنة (وهابية) .
- الأشاعرة يوافقون أهل السنة في أمور ، ويخالفونهم في أخرى .

٦ - من أهم المسائل التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة .

- خوضهم في بعض صفات الله تأويلاً وابتداعاً .
- تعويلهم على العقل وعلم الكلام والنظر في العقائد .
- تفسيرهم التوحيد بتوحيد الربوبية ، وغفلتهم عن توحيد الألوهية الذي من أجله أرسلت الرسل .
- مخالفتهم لأهل السنة في بعض مسائل القرآن وكلام الله ، والإيمان ، والقدر ، والنبوات .
- مذهب الأشاعرة مذهب مستقل في العموم .
- لا يجوز أن نحمل أهل السنة ما ابتدعه المتكلمون من الأشاعرة .
- الأشاعرة هم أقرب الفرق لأهل السنة .
- رجوع كثير من كبار الأشاعرة عن مقولاتهم .

- الأشاعرة المعاصرون بعدوا عن السنة أكثر من أسلافهم .
- لايجوز تكفير الأشاعرة ولا تضليلهم .

٧- أين أهل السنة ؟

- هم الذين على هدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قولاً وعملاً واعتقاداً .
- المتمسكون بعقيدة السلف (الصحابة والتابعون وأئمة الهدى) .
- سلامتهم من التلبس بالبدع والشركيات .
- تمسكهم بشعئر الدين الظاهرة والباطنة .
- ظهورهم في مجتمعاتهم بالصدع بالحق .
- تميزهم في كل بلد بحسب حاله .
- عامة المسلمين- في كل مكان- هم من أهل السنة إذا سلموا من الشركيات والبدع ، لأنهم على الفطرة .
- * دعوى بعض الأشاعرة والماتريديية انهم أهل السنة لأنهم أكثرية دعوى ساقطة .
- * عودة إلى تحقيق أن عامة المسلمين الأصل فيهم السلامة .

المبحث الرابع : في بعض النتائج والخواطر حول الموضوع ، ويشمل :

- ١- الآثار الناجمة عن ضعف التمسك بهدي السلف .
 - * إهمال جانب التوحيد أو ضعفه .
 - * ضعف الاهتمام بالعلوم الشرعية .
 - * التعصب والحزبية والغرور .
 - * التفرق والاختلاف .
- ٢- خواطر ووقفات حول الدعوة والعقيدة :
 - أولاً : الدعوات والدعاة من أفضل الأمة في العموم .
 - ثانياً : خطأ بعض التصورات حول الدعوة ومستقبل المسلمين .
 - ثالثاً : زهول الدعاة عن الخلل الأعظم في الأمة ، وهو جانب توحيد الألوهية والعبادة والجهل بأبجديات الإسلام .
 - رابعاً : الخطأ في تقدير نجاح الدعوات وفشلها .

١ – قائمة المراجع .

٢ – فهرس الموضوعات .

